

المركز القومي للترجمة

حتى تمضي خمس سنوات

(أسطورة الزمن)

و
ماريانا بينيدا

الطبعة الثانية



2/58

من مسرح لوركا

فيدريكو غرسيية لوركا
محمد أبو العطا

تأليف:
ترجمة:



المشروع القومي للترجمة

حتى تمضي خمس سنوات
"أسطورة الزمن"

9

ماريانا بينيدا

المركز القومي للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٥٨ / ٢

- حتى تمضى خمس سنوات "أسطورة الزمن"، وماريانا بينيدا

- فيديريكو غرسية لوركا

- محمد أبو العطا

- الطبعة الثانية ٢٠٠٩

هذه ترجمة كاملة لمسرحيتي:

Asi que pasen cinco años

y

Mariana Pineda

Por: Federico García Lorca

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة .

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦

فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

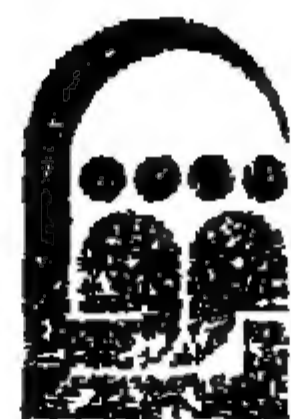
e.mail: egyptcouncil@yahoo.com

Tel.: 27354524 - 27354526

Fax: 27354554

حتى تمضي خمس سنوات
(أسطورة الزمن)
و
ماريانا بينيدا

تأليف: فيديريكو غرسية لوركا
ترجمة: محمد أبو العطاس



٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١٠٣١٠ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولي: 9 - 256 - 479 - 977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

تصدير

وضع القائمون على المجلس الأعلى للثقافة نصب أعينهم منذ بداية التفكير فى إحياء الذكرى المئوية الأولى لمولد أشهر شعراء إسبانيا فى عالمنا العربى " فيديريكو غرسية لوركا " مشروعا طموحا تطلع إلى نشر أعمال الشاعر كاملة فى مختلف أجناسها الأدبية بالعربية .

وقد تحقق بالفعل قدر كبير من هذا المشروع الطموح بترجمة ونشر أعماله الشعرية الكاملة اضطلع بترجمتها : محمود على مكى ، وكاتب هذه السطور ، أما ديوانه " شاعرى نيويورك " فقد ترجمه : ماهر البطوطى : وأعماله النثرية الكاملة ، قيد الترجمة والإعداد .

أما فيما يتعلق بمسرح لوركا فقد توفر على ترجمته فى مصر مجموعة من كبار الأساتذة ، ومنهم : عبد الرحمن بدوى ، وحسين مؤنس ، ومحمود على مكى ، وأحمد عبد العزيز ، وقد نشرت ترجماتهم جميعا ، البعض منها فى سلسلة المسرح العالمى ، والبعض الآخر فى دور نشر أخرى ...

إلا أن حركة ترجمة مسرح لوركا فى مصر لم تلتفت ، على الرغم من الجهد الكبير ، إلى عمليتين أساسيتين يعدان من العلامات البارزة فى تطور مسرح لوركا ، وهما : " حتى تمضى خمس سنوات : " و " ماريانا بينيدا " ، وقد قام على ترجمتهما إلى العربية ، استكمالاً لمشروع الأعمال المسرحية الكاملة الزميل د. محمد أبو العطاء .

بيد أنه حال دون إصدار طبعة الأعمال المسرحية الكاملة إجراءات الحصول على موافقة الجهات الناشرة ؛ فاكثفينا فى الوقت الراهن بنشر هذين العمليتين ، ونعد القارئ بنشر ما لم ننشره فى أقرب وقت ممكن بعد الحصول على الموافقات اللازمة ، ونشر الأعمال النثرية الكاملة .

أ.د. محمود السيد على

أمين اللجنة التنظيمية للمؤتمر

حتى تمضى خمس سنوات
« أسطورة الزمن »

مدخل

« حتى تمضى ٥ سنوات » مسرحية فى ثلاثة فصول وخمسة مناظر ، ولها عنوان فرعى : أسطورة الزمن . انتهى لوركا من كتابتها فى عام ١٩٣١ . تتناول تيمة فشل الرجل فى الحب - المطروحة فى أعمال أخرى بمغايرات أخرى لنفس الكاتب - وما يترتب على ذلك من حرمانه من الإنجاب .

هذا العمل ينهل من أكثر من نبع استطايقى ، وهو عمل تجديدى ومتفرد فى أكثر من اتجاه ، وهو رغم بساطة خطه الدرامى ، غنى فى مكوناته المسرحية وفى تراكب تيمته . فيشتمل على عناصر سورىالية، ثمرة تمثل متعمق لمبادئ هذه الدراسة ولبادئ أخرى من عالم لوركا الخصوصى ؛ ويكرس فى المسرح تقنية « المونولوج الداخلى » المأخوذة عن الرواية ، ومن ثم فهو عمل تجريبى مبكر ينم عن حس وحدس عبقرين .

وتكتسب هذه المسرحية بعداً شاملاً وعاماً من حيث معالجتها للشخص الدرامى ، فهؤلاء قبل أن يكونوا كائنات حقيقية أو حتى شبحية هم عصب حى ، انفعال بلا وصف جسدى ؛ وهم ، من حيث كونهم واقعاً متخيلاً وغير فردى ، متصلون بعالم الغريزة والعاطفة الذى

هو عالم جميع البشر . ويرقى الشخص إلى الصيرورة الدرامية في مسعاهم الدائم من أجل أن يصبح لهم اسم أو أنطولوجيا .

يرى بعض النقاد في « حتى تمضي خمس سنوات » و « الجمهور » مسرحيتين سوريايتين لهما علاقة مباشرة بالمرحلة الشعرية التي نظم لوركا خلالها ديوان « شاعر في نيويورك » وأعد خلالها أكثر من سيناريو لأفلام قصيرة ذات طابع سورياي مثل « نزهة باستركيتون » و « الفتاة والبحار والطالب » ... من حيث افتقار الصراع إلى الوحدة الدرامية وتوزعه على « لحظات » قد تكون مشتتة وغير متواصلة ويلاخطُ داخلي . فلكل مشهد قيمة منفصلة أولاً رغم انتظامه في المجل .

على أن اعتبار لوركا سورياياً مسألة قد لا يقبلها كثير من دارسيه ، من مبدأ أن « اللامنطق » عند السوريين يقابله « المنطق الشعري » عند لوركا . ومع ذلك ، ثمة أمور تدعو إلى استقصاء عناصر سورياية عند لوركا ينبغي الاقتراب منها - رغم ذلك - بشئ من الحذر .

فلاشك أن ذلك العالم الاستبطاني المتناهي عن الواقع وعن الموضوعية ، المغلف بجو من الاستسرار ؛ وذلك التراكب المكثف من الصور المستغلقة والتي تنطوي غالباً على رمزية متداخلة ومتعددة الدلالة ؛ وتكريس تيمة الحب والإيروسية فضلاً عن انعكاس الأنا في عدة شخص ، لا شك في أنه عالم متاخم للبوطيقا السورية .

وهناك مسار تجريبي طويل وسابق انتهى بتبلور عناصر سوريلية
فى « حتى تمضى خمس سنوات » . فنصوص المؤلف النثرية المبكرة
وكذلك سيناريو الفيلمين المشار إليهما - أو « الحواريات النثرية » بعبارة
لوركا - و « شاعر فى نيويورك » و « الجمهور » يتضمن جميعها
مظاهر سوريلية ، منها : صور قائمة على فكرة « إطراح النزعة
الإنسانية عن الفن » وأخرى حلمية أو منامية ؛ لغة منحوتة وتشكيلية ؛
البدائية والوحشية اللتان تخفف منهما أحيانا روح الدعابة القاتمة ؛
وصف لمناخات مَرَضِيَّة وتعباسة وعذاب منشأها دائماً أزمة الهوية ؛ عبث
الدفاع عن الذات فى مواجهة ضراوة الحياة وانكشاف المرء أمام الشر ،
إلخ . ولكن ، علينا أن نقر بأن بعض هذه المظاهر لصيق بالصورة
الشعرية عند لوركا وبمزاجه الخاص ، وأن بعضاً آخر له صلة
بتأثيرات من الأدب الإسباني والتراث الفنى الشعبى ، والأساطير
الكلاسيكية ، ... إلخ .

أما « المونولوج الداخلى » فهو الدعامة التقنية التى ينهض عليها
البناء الدرامى . فالتسلسل الدرامى والتعاقب الزمنى الطردى التقليديان
يفسحان مكانهما لانتطباعات ذهنية موقعها اللاوعى ، تنطبع فى اللاوعى
انطلاقاً من تداع سمعى . تدق الساعة السادسة مساءً ، فى بداية
الفصل الأول ، ثم يسأل « الشاب » ، البطل ، خادمه - فى نهاية الفصل -
عن الساعة فيجيبه : تمام السادسة ، وفى نهاية المسرحية تدق

الساعة الثانية عشرة . فإذا تصورنا أن هذه الدقات الاثنتى عشرة ليست سوى رجع الصدى للدقات الست فى الفصل الأول ، فإن الأحداث تجرى فى لا زمن ، تماماً كما تنطبع الصور فى اللاوعى بلا مقياس زمنى نعرفه ؛ ومن ثم العنوان الفرعى : أسطورة الزمن .

والأحداث تجرى فى رأس « الشاب » قبل لحظات من موته ، بعد حياة موسومة بالفشل العاطفى . وتبدأ المسرحية بحوار بين الذات وقرينها الممتد هنا فى ثلاثة أشخاص : الشيخ ، ويمثل العدمية ؛ والصديق (١) ، ويمثل الحاضر الذى يفر الشاب من مواجهته ؛ ثم الصديق (٢) ، ويمثل نعيم الطفولة الذى تتشبث به نفس البطل خوفاً من مجابهة حب المرأة . كل شىء يؤجل ويحبط حتى الفشل الأخير ، حتى لحظة الموت .

د . محمد أبو العطا

الشخصيات

الشباب
الشيخ
كاتبة آلة الطباعة
الصديق
الطفل
القط
الخادم
الصديق (٢)
العروس
لاعب الرجبي
الخادمة
والد العروس
المانيكان
الجوكر
الفتاة
المهرج
القناع
الخادمة
المقامر (١)
المقامر (٢)
المقامر (٣)
الصدى

الفصل الاول

حجرة المكتبة . يجلس الشاب مرتدياً بيجاما زرقاء ، ويجلس أيضاً الشيخ بلحيته البيضاء ونظارته الذهبية الكبيرة الحجم مرتدياً سترة مذيبة رمادية اللون .

- الشباب : ليس من العجب فى شىء .
- الشيخ : ماذا ؟
- الشباب : حدث لى دائماً بنفس الطريقة .
- الشيخ : [متحرياً ومتلطفاً] : أليس كذلك ؟
- الشباب : بلى .
- الشيخ : إن ...
- الشباب : أتذكر أنه ...
- الشيخ : [ضاحكاً] : الذكرى دائماً .
- الشباب : أنا ...
- الشيخ : [فى لهفة] : استمر .
- الشباب : كنت أخبئ الحلوى لآكلها فيما بعد .
- الشيخ : فيما بعد ، أليس كذلك ؟ طعمها ألد . أنا أيضاً ...

الشباب : وأتذكر أنه في أحد الأيام ...
الشيخ : [مقاطعاً بحدة] تعجبني كثيراً كلمة أتذكر . إنها
كلمة خضراء ، غضة ، تقطر خيوطاً من الماء البارد
بلا توقف .

الشباب : [في مسرح ومحاولاً إقناع نفسه] : نعم ، نعم .
بالطبع . معك كل الحق . لا بد من مكافحة أية فكرة
هدمية خاصة في وجود تلك التلم الرهيبة في الحوائط .
كم من مرة قمت في منتصف الليل لأقتلع الحشائش من
الحديقة . لا أريد حشائش في بيتي ولا أثاثاً محطماً .

الشيخ : أجل . ولا أثاثاً محطماً لأنه لا بد من التذكر ، ولكن ...
الشباب : لكن الأشياء حية ، تحترق في دمه وجميع ملامحها
كاملة .

الشيخ : عظيم ! . أقصد [يخفض من صوته] إنه يجب التذكر ،
ولكن التذكر من قبل .

الشباب : من قبل ؟

الشيخ : [في تكتم] : نعم . يجب التذكر نحو الغد .

الشباب : (غارقاً في فكرة) : نحو الغد .

[تدق الساعة السادسة . تعبر الكاتبة على آلة
للطباعة خشبة المسرح باكية في صمت .]

- الشيخ :** السادسة .
- الشباب :** نعم السادسة والقيظ شديد . [ينهض] هنالك سماء زوبعة رائعة ، محملة بغيوم رمادية ...
- الشيخ :** أنت إذا ... ؟ لقد كنت أنا صديقاً حميماً لهذه الأسرة ، خاصة للأب . هو مهتم بالفلك . شىء طيب ، هه ، بالفلك . وهى ؟
- الشباب :** لقد عرفتُها قليلاً ولكن لا يهم . أعتقد أنها تحبنى .
- الشيخ :** بالتأكيد !
- الشباب :** لقد ذهبوا فى سفر طويل . كدت أسعد لذلك ...
- الشيخ :** هل عاد أبوما ؟
- الشباب :** مطلقاً . هذا غير ممكن الآن ... لأسباب قد لايسهل شرحها ... حتى تمضى خمس سنوات .
- الشيخ :** عظيم ! [مبتهجا]
- الشباب :** [جاداً] لمَ تقول « عظيم » ؟
- الشيخ :** لأن ... هل هذا جميل ؟ [مشيراً إلى الحجرة] .
- الشباب :** لا .
- الشيخ :** ألا تغمك ساعة الرحيل ؟ والأحداث ؟ وكل ما هو آت فى التو ... ؟
- الشباب :** بلى ، بلى ، لاتحدث عن ذلك .

- الشيخ :** ماذا يجرى فى الشارع ؟
- الشباب :** ضجيج ، ضجيج دائماً ، وغبار وقيظ وروائح خبيثة .
- يضايقنى أن يقتحم مافى الطريق بيتى [يسمع أنين طويل ، سكون] ياخوان ، أغلق النافذة .
- [يغلق النافذة خادم متائق يسير على أطراف أصابعه]
- الشيخ :** وهى ... أهى صغيرة السن ؟
- الشباب :** صغيرة السن جداً . خمسة عشر عاماً .
- الشيخ :** خمسة عشر عاماً عاشتها هى كل وجودها ، ولكن لم لا يقال إن لها خمسة عشر جليداً أو خمسة عشر هواء ، أو خمسة عشر شفقا ؟ ألا تجرؤ على الفرار ؟ على الطيران ؟ على نشر حبك بعرض السماء ؟
- الشباب :** [يغطى وجهه بيديه] : أحبها كثيراً .
- الشيخ :** [واقفاً وبحدة] : أو يمكن أن تقول : إن لها خمس عشرة وردة أو خمسة عشر جناحاً أو خمس عشرة حبة رمل . ألا تجرؤ على أن تحتشد ، وعلى أن تجعل حبك جارحاً وصغير الحجم داخل صدرك ؟
- الشباب :** أنت تريد أن تقصينى عنها ، ولكننى أعرف سبيلك إلى ذلك . تكفى مراقبة حشرة حية فى راحة اليد أو مشاهدة البحر ذات مساء مدققاً فى هيئة كل موجة

حتى يستحيل الحيا أو الجرح الذي نعمله فى صدورنا
فقاعات . غير أنى عاشق وأريد أن أبقي مولها ، على
مثل حالها متى . لذا بوسعى أن أصطير خمسة أعوام
فى انتظار أن أستطيع أن أعقد حول عنقى صفائرها
النورانية ، فى الليل عندما يظلم العالم .

الشيخ : أسمح لنفسى بأن أذكرك بأن عروسك ... ليست لها
صفائرها .

الشباب : [غاضباً] : أعرف ذلك . لقد قصتها نون إذن بالطبع ،
وهذا ... [فى ضيق] يغير من صورتها . [بحدة]
أعلم أن ليست لها صفائرها [شبه تائر] لم ذكرتنى ؟
[فى حزن] ولكن فى هذه السنوات الخمس ستعود
إليها صفائرها .

الشيخ : [متحمساً] : ستكون أجمل من أى وقت مضى .
ستكون صفائرها ...

الشباب : هى صفائرها ، هى صفائرها [فى سرور] .

الشيخ : هى صفائرها تمكن الحياة بأريجها نون حاجة إلى خبز
أو ماء .

الشباب : كم أفكر ... !

الشيخ : كم تحلم .

- الشباب : كيف ؟
- الشيخ : تفكر كثيراً فى أنك ...
- الشباب : فى أنتى مجروح جرحاً حياً ... وكله نحو الداخل ... كالحرق .
- الشيخ : [ماداً إليه كوباً] : اشرب .
- الشباب : شكراً . كلما طفقت أفكر فى الفتاة الصغيرة ، فى طفلتى ...
- الشيخ : قل عروسى . اجترئ !
- الشباب : لا .
- الشيخ : ولكن لم لا ؟
- الشباب : إن العروس ... ، أنت تعلم هذا ؛ إن أقل عروسى أرها رغباً عنى مكفنة فى سماء علقت بضفائر هائلة من الثلج . لا ، ليست عروسى [يأتى بإيعة كأنه يريد أن يبعد عنه الصورة التى تحاول أن تسيطر عليه] إنها صغيرتى ... فتاتى .
- الشيخ : استمر ، استمر .
- الشباب : فإذا ما شرعت أفكر فيها ... أرسمها ... أجعلها تتحرك بيضاء وحية ولكن فجأة ، من الذى يغير أنفها أو يكسر أسنانها أو يحولها إلى أخرى ترتدى

الأسمال وتتخذ فى فكرى مأخذ من تنظر إلى نفسها
فى مرآة بالية ؟

الشيخ : من ؟ إنه لمن الغريب أن تسأل : من ؟ إن الأشياء
المائة أمام العين لى أشد تغيراً من تلك التى تحيا
قاب قوسين تحت الجبهة ، وإن الماء الآتى من النهر
لمختلف تماماً عن الماء الذاهب . من يتذكر خريطة
دقيقة لرمال الصحراء ؟ أو لوجه أى صديق ؟

الشباب : أجل ، أجل . مازال ما بداخلنا أكثر حياة ، على أنه
هو أيضاً يتبدل . فى آخر مرة رأيتها لم أكن أحتمل
النظر إليها عن قرب لوجود تجعيدتين فى جبهتها .
ولولا أنى أخذت حذرى - أتفهمنى ؟ - لملأتا كل
محياتها ولجعلتها فاسدة النضارة ، عجوزاً ، كأنها
عانت الكثير . كان على أن أنفصل عنها حتى أبثرها -
هذه هى الكلمة الصحيحة - فى قلبى .

الشيخ : أليس صحيحاً أنها فى تلك اللحظة التى رأيتها فيها
عجوزاً كانت قد أسلمت لك نفسها تماماً ؟

الشباب : بلى .

الشيخ : [مهتاجاً] : أليس صحيحاً أنها فى تلك اللحظة
بعينها إذا كانت قد اعترفت لك بأنها خانتك ، وأنها

لاتحبك لكنت التجاعيد تحولت إلى أرق وردة في العالم ؟

الشباب : [مهتاجاً أيضاً] : بلى .

الشيخ : ولكنك أحببتها أكثر لنفس هذا السبب ؟

الشباب : بلى ، بلى .

الشيخ : إذا ؟ ها ، ها !

الشباب : إذا ... إن الحياة لشديدة الوعورة .

الشيخ : لذلك يتعين علينا الطيران من أمر إلى أمر إلى أن

نتلاشى . فإن هي بلغت من العمر خمسة عشر عاماً

يمكنها أيضاً أن تبلغ خمسة عشر شفقاً أو خمس

عشرة سماء . إن الأشياء لأكثر حياة في داخلنا منها

هناك ، في الخارج ، حيث تتعرض للهواء أو للموت .

لذا هلم بنا : فلا نذهب أو لنتنظر ؛ لأن المقابل هو أن

نموت الآن . وإن كان من الأجمل أن نفكر أننا غداً

سنرى مائة القرن الذهبية التي ترفع بها الشمس

الغيوم عنها .

الشباب : [ماداً إليه يده] : شكراً ، شكراً على كل شيء .

الشيخ : سأعود مرة أخرى .

[تظهر كاتبة الآلة]

الشباب : هل انتهيت من كتابة الخطابات ؟

- الفتاة : [باكية] : نعم ياسيدى .
- الشيخ : [للشاب] : ما بها ؟
- الفتاة : أود الرحيل عن هذه الدار .
- الشيخ : إنه لأمر هين جداً ، أليس كذلك ؟
- الشاب : [مضطرباً] : لك أن تقررى .
- الفتاة : أريد الرحيل ولا أستطيع .
- الشاب : [فى عذوبة] : لست أنا بمن يحصل دون رحيلك .
تعلمين أنى ليس بمقدورى أن أفعل شيئاً . لقد قلت لك
عدة مرات أن انتظرى ، لكنك ...
- الفتاة : لكننى لا أنتظر . ماذا يعنى أن أنتظر ؟
- الشيخ : ولم لا ؟ إن الانتظار ليعنى الإيمان ويعنى الحياة .
- الفتاة : لا أنتظر لأننى حرة ، ولأننى لا أريد ، ومع ذلك
لا أستطيع أن أتحرك من هنا .
- الشاب : أنت دائماً تنتهين إلى عدم ذكر مبررات .
- الفتاة : ليس بوسعى إعطاء مبررات . ليس ثمة إلا مبرر واحد
وهو ... أنى أحبك . لا تنزعج ياسيدى ! إنه دائماً المبرر
الأوحد . عندما كان صغيراً [إلى الشيخ] كنت أراه
من شرفتى وهو يلعب ، وفى أحد الأيام زل وجرحته
ركبته . أتذكر ؟ [إلى الشاب] حتى الآن مازال ذاك

- الدم يحيا كأفعى حمراء تختلج بين نهدي .
- الشيخ : ليس هذا طيباً . يجف الدم وماقات فات .
- الفتاة : أى ذنب جنيته أنا ياسيدى ؟ [إلى الشاب] أرجوك أن تعطينى حسابى . أريد أن أرحل عن هذه الدار .
- الشباب : حسن . أنا لم أقترف أى ذنب أيضاً . فضلاً عن أنك تعلمين جيداً أنى لست ملكاً لنفسى . يمكنك أن تذهبي .
- الفتاة : [إلى الشيخ] : أسمعت ياسيدى ، إنه يطردنى من بيته ، لا يريدنى هنا [تبكى ثم تذهب] .
- الشيخ : [بصوت منخفض إلى الشاب] : إنها لخطرة هذه المرأة .
- الشباب : وددت لو أحببتها مثلاً أود العطش أمام عيون الماء . وددت ...
- الشيخ : مطلقاً . ماذا أنت فاعل غداً ؟ هه ؟ فكر ... غداً !
- الصديق : [يدخل محملاً جلبة] : ما أشد الصمت فى هذه الدار ! ولم كل هذا الصمت ؟ أعطنى ماء بأنيسون وثج [يذهب الشيخ] أو أى كوكتيل .
- الشباب : رجائى ألا تهشم الآثاث .
- الصديق : رجل وحيد ... وقور ، فى هذا الحر !

- الشباب :** أليس بمقدورك أن تجلس ؟
- الصديق :** [يأخذه من ذراعيه ويدور به ويغنى] : « تـا .. تـا .. تـا »
- الشباب :** وجذوة يوحنا القديس ... «
- الشباب :** دعنى . لست راغباً فى هزل .
- الصديق :** أووه ! من هذا الشيخ ؟ أحد أصدقائك ؟ وأين صور البنات اللاتى تضاجعهن فى هذه الدار ؟ انظر [يقترب منه] سوف آخذ يتلابيك وسأطلى هذين الخدين الشمعيين بالألوان أو أفركهما ، هكذا .
- الشباب :** [مفتاحاً] : دعنى !
- الصديق :** وسوف أخرجك إلى الشارع بعضا .
- الشباب :** وماذا أنا فاعل فيه ؟ إن لك ثوقاً ، حقيقةً ... إننى لأجد من المشقة ما يكفينى عندما أنصت إليه يزخر بالسيارات وبالضالة .
- الصديق :** [يجلس ويتمدد على الأريكة] : بينما أنا ... بالأمس غزوت ثلاث بنات ، وبما أننى - أول أمس - فعلت ذلك مع اثنتين واليوم مع واحدة فإننى ... فى النهاية ... أبقى بدون أى منهن . إذ ليس لدى وقت ... أمضيت وقتاً مع فتاة ... إرنستينا ، أتريد أن تعرفها ؟
- الشباب :** لا .

الصديق : [ينهض واقفا] : تقول لا وتوقع تحتها ! ولكن لو أنك رأيتها ، إن لها قدأ ! ... بيد أن لما تيلدى قدأ أفضل بكثير . [متحمساً] آه ، يا إلهى ! [يقفز قفزة ليتهاوى على الأريكة] هو خصر يصلح لكل الأذرع وإنه لو اهن إلى حد يُراد عنده أن تكون فى اليد فأس صغيرة من فضة لشجه .

الشباب : [شارداً ومتحدثاً إلى نفسه] : إذا ، سأرتقى الدرج .
الصديق : [ممدداً على الأريكة على بطنه] : ليس لدى وقت ، ليس لدى أى وقت ، وكل أمورى تتداخل على ، ولك أن تتخيل حالى ، أتواعد مع إرنستينا وضيقاتها ههنا مشدودة ، شديدة السواد . ثم ...

[الشاب - بنفاد صبر - ينقر المنضدة بأصابعه .]

الشباب : أنت لاتدعنى أفكر !
الصديق : ليس ثمة داع للتفكير! والآن ، أنا ذاهب . مهما ... حاولت ... [ينظر إلى الساعة] لقد تأخرت ، يا للفضاعة ، أتأخر دائماً . ليس لدى وقت للأسف . كانت تصحبها امرأة شديدة القبح وجديرة بالإعجاب معاً ، امرأة سمراء من اللانى يُفتقدن فى منتصف نهار صيفى ، وهى تعجبنى [يقذف بوسادة فى الهواء] لأن لها

هيئة مروض .

الشباب : كفى !

الصديق : حسن يارجل ، لاتغضب . ومع هذا يمكن لامرأة أن

تكون قبيحة جداً ، كما بوسع مروض الخيل أن يكون

وسيماً ، والعكس . ما عسانا أن نعرف نحن ؟ [يعلأ

كلساً من الكوكيل]

الشباب : لا شيء ...

الصديق : ولكن ، هلا قلت لى بك ؟

الشباب : لا شيء ، ألا تعرف مزاجى ؟

الصديق : أنا لا أفهمه . ومع هذا لايمكتنى أن أظل جاداً

[يضحك] سأحييك كما يفعل الصينيون [يحك أنفه

بأنف الشاب] .

الشباب : [مبتسماً] إليك عنى !

الصديق : اضحك ! [يدغغه]

الشباب : [ضاحكاً] : أيها البربرى !

[يتصارعان]

الصديق : سأساويك بالأرض !

الشباب : أقدر عليك !

الصديق : أمسكت بك ! [يأخذ برأسه بين ركبتيه ويوسعه ضرباً]

الشيخ : [يدخل في صرامة] : إذا أذنتما لى ... [يقف
الشابان] معذرة ... [ينظر إلى الشاب بحدة] سوف
أنسى قبعتى .

الصديق : كيف ؟

الشيخ : [ثائراً] : أجل ياسيدى ! سوف أنسى قبعتى ...
[من بين أسنانه] أقصد ، نسيت قبعتى .

الصديق : آلاه !

[يسمع تهشم زجاج]

الشاب : [بصوت عال] : خوان ، سد النوافذ !

الصديق : زوينة بسيطة ، ليتها تشتد !

الشاب : أفضل ألا أحس بها . [بصوت عال] ليغلق كل شئ
بإحكام !

الصديق : إنه الرعد . ليس بوسعك أن تصم أذنك .

الشاب : قد أستطيع !

الصديق : وربما لا تستطيع !

الشاب : لا أكثر بما يحدث فى الخارج . هذه الدار دارى ولن
يدخل أحد هنا .

الشيخ : [بحق ، إلى الصديق] : ليس لهذه الحقيقة تفنيد ممكن !
[يسمع رعد بعيد]

الصديق : سيدخل هنا كل من يريد ، وليس هنا فحسب بل تحت سريرك .

[يقترب صوت الرعد]

الشباب : [يصرخ] : ولكن ليس الآن !

الشيخ : برافو ... !

الصديق : افتح النافذة ! أشعر بحر !

الشيخ : سوف تفتح !

الشباب : فيما بعد !

الصديق : لكن ، لفرّ ... أفهم من هذا أن ...

[يُسمع صوت الرعد من جديد . تنخفض الإضاءة ويغمر خشبة المسرح ضوء زوبعة مائل للزرقة . يختفى ثلاثتهم خلف ساتر أسود اللون نقشت عليه نجوم ، يدخل الطفل الميت والقط من الباب الأيسر . يرتدي الطفل زي أول تناول أبيض وإكليلاً من الورود البيضاء علي رأسه . في وجهه المطلق بالشمع تبرز عيناه وشفتاه بلون الزينة الذابلة . يحمل شمعة مموجة في يده وشريطاً كبيراً عليه زهور ذهبية . لون القط أزرق لطخته بقعاً دم حمروان كبيرتان ، إحداهما في

صدره ذى اللونين الأبيض والرمادى والأخضر فى رأسه
 يتقدمان صوب الجمهور . يمسك الطفل بالقط من
 إحدى أقدامه .]

- القط : مياو .
 الطفل : هس هس هس .
 القط : مياو .
 الطفل : خذ منديل الأبيض .
 خذ إكليل الأبيض .
 كفاك بكاء .
 القط : تؤلى الجروح
 التى أصابنى بها الأطفال فى ظهرى .
 وأنا أيضاً قلبى يؤلى .
 القط : لم يؤلك أيها الطفل ؟ قل !
 لأنه لا يعمل .
 الطفل : بالأمس توقف عندليب فراشى ،
 برفق شديد .
 صخب عظيم ! ليتك رأيتهم ... ! تركبنى
 بهذه الورود أمام النافذة .
 القط : وبم كنت تشعر أنت ؟

- الطفل : لقد شعرت
بينابيع ونحل فى القاعة .
أوثقوا يديّ . بثس مافعلوا !
وكان الأطفال ، عبر الزجاج ، ينظرون إلى .
وجعل رجل يرشق نجوماً من ورق
بمطربة فى نعشى .
[يشبك الطفل يديه على صدره]
لم تأتِ الملائكة . كلا ، أيها القط .
لا تقل لى « أيها القط » مرة أخرى .
- القط :
الطفل : له ؟
القط : لأننى قطه .
الطفل : أنت قطه ؟
القط : [متدلة] : كان عليك أن تتنبه إلى ذلك .
الطفل : له ؟
القط : لصوتى الفضى .
الطفل : [فى تلقى] : هلا تفضلت بالجلوس ؟
القط : بلى . أنا جوعانة .
الطفل : سارى لعلى واجد لك فأراً .
[يشرع فى البحث تحت المقاعد . يجلس القط على

كرسى ويرتفش]

لا تأكلها كلها ، بل قدماً واحدة .

لأنك مريضة جداً .

القط : قذفنى الأطفال .

بعشرة حجارة .

الطفل : حجارة ثقيلة كالورود

التي أطبقت ليلة أمس على حلقى .

أتريدين واحدة ؟

[ينزع وردة من رأسه .]

القط : [مسروراً] : نعم ، أريد .

الطفل : ببقعتيك الشمعيتين والوردة البيضاء

وعين القمر المحطم ، تبدين لى

غزلاً نائماً بين الزجاج .

[يضع لها الوردة]

القط : وأنت ماذا كنت تفعل ؟

الطفل : كنت ألعب ، وأنت ؟

القط : ألعب !

أسير على القرميد ، قطرة فطساء ،

فى الصباح

أذهب لصيد السمك فى الماء

وعند الظهر

أرقد تحت ورود الجدار .

الطفل : وفى الليل ؟

القطعة : [بمبالغة] : أسير وحيدة .

الطفل : لا أحد معك .

القطعة : فى الغابة .

الطفل : [بسرور] : أنا أيضاً كنت أذهب ، أه ، أيتها القطعة

الفطساء ، الرخيصة ،

لأكل التوت والتفاح ،

ثم إلى الكنيسة مع الأطفال

لألعب لعبة العنزة .

القطعة : ماهى لعبة العنزة ؟

الطفل : كنا نلوك مسامير الأبواب .

القطعة : أكان مذاقها طيباً ؟

الطفل : كلا يا قطتى ، كان كمصّ قطع النقود .

[صوت رعد بعيد]

هيه ، انتظري ! أهم أتون ! أنا خائف .

أتعلمين ؟ لقد فررت من بيتى .

[يبكى]

لا أريد أن يدفنوني

والأشرطة والزجاج تزين تابوتي ،

بل أفضل الرقاد

بين أسل الماء .

لا أريد أن يدفنوني . هلمى ، أسرعى !

[يجرها من قدمها]

القطة : هل سندفن ؟ متى ؟

الطفل : غداً ،

فى حفر معتمة ،

جميعهم ينتحب . يصمت .

لكنهم يرحلون . لقد رأيت ذلك

ثم ، أتعلمين ؟

القطة : ماذا ؟

الطفل : يأتون ليأكلونا .

القطة : من ؟

الطفل : العظاءة الذكر والأنثى

وأودلادهما الصغار ، وما أكثرهم .

القطة : وماذا يأكلون منا ؟

الطفل : وجهينا

وأصابعنا

[خافضاً صوته]

والعصفورة

القطعة : [مستاعة] : أنا ليس لى عصفورة .

الطفل : [بحرارة] : أيتها القطعة ! ،

سيأكلون أقدامك وشاربك .

[صوت رعد بعيد]

هيا بنا ، من بيت إلى بيت

نصل إلى حيث ترعى

أفراس الماء الصغيرة .

ليست هذه السماء . إنها الأرض الصلبة

وجنادب كثيرة تغنى

وعشب يميمس

وسحب ترتفع

ومقاليع ترمى حجارة

والريح كالسيف

أريد أن أكون طفلاً ، طفلاً !

[يتجه إلى الباب الأيمن]

القِطَّة : الباب موصل .
 لنذهب من السلم .
 الطفل : من السلم سيرونا .
 القِطَّة : تمهل .
 الطفل : هاهم قادمين لدفننا !
 القِطَّة : هيا بنا من النافذة .
 الطفل : لن نرى النور أبداً
 ولا السحب التى ترتفع
 ولا الجنادب فى العشب
 ولا الريح كالسيف .
 [يشبك يديه]
 يا عباد الشمس !
 يا عباد الشمس النارى !
 يا عباد الشمس !
 القِطَّة : يا قرنفة الشمس !
 الطفل : تسير منطفئة فى السماء .
 بحار وجبال من فحم فقط
 وحمامة ماتت على الرمل
 جناحها محطمان وفي منقارها زهرة .

[يغنيان]

وفى الزهرة زيتونة ،

وفى الزيتون ليمونة ...

ثم ماذا ؟ لا أعرف بقية الأغنية .

القطعة : يا عباد الشمس !

يا عباد شمس الصباح !

الطفل : يا قرنفة الشمس !

[يخفت الضوء . يسير الطفل والقطعة فى حذر وكل

منهما ممسك بالآخر .]

القطعة : لا أرى شيئاً . أين أنت ؟

الطفل : صه !

القطعة : أتأتى العطاءات الآن ، أيها الطفل ؟

الطفل : كلا !

القطعة : أوجدت مخرجاً ؟

[تقترب القطعة من الباب الأيمن فتخرج يد وتدفعها

إلى الداخل]

الطفل : أيها الطفل ، أيها الطفل ، أيها الطفل !

[بفرع]

أيها الطفل ، أيها الطفل !

[يتقدم الطفل خائفاً ، متوقفاً فى كل مرة خطوة]

القطعة : [بصوت خفيض] : لقد غرقت .

أخذتها يد .

لعلها يد الله .

لا تدفينينى . انتظرى دقائق ...

حتى أنزع أوراق هذه الزهرة .

[يخلع الزهرة من رأسه وينزع أوراقها]

سأذهب وحدى ، رويداً

ثم تدعيننى أنظر إلى الشمس ...

قليلاً جداً ، يكفينى شعاع واحد .

[ينزع أوراق الزهرة واحدة واحدة] : نعم ، لا ، نعم ،

لا ، نعم .

صوت : لا ، لا .

الطفل : أنا قلت لا دائماً .

[تطل يد وتسحب الطفل الذى يفقد وعيه . عند اختفاء

الطفل يعود الضوء سيرته الأولى . من وراء الساتر ،

يظهر الأشخاص الثلاثة مرة أخرى . يبدو شعوراً

بالحر وبالاضطراب الشديد ، فى يد الشاب مروحة

زرقاء وفى يد الشيخ مروحة سوداء ، أما الصديق

فيمسك بمروحة ذات لون أحمر شديد الحمرة ،
يستخدمونها]

الشيخ : سوف يشتد الحر .

الشباب : أجل ، فيما بعد .

الصديق : لقد اشتد بما فيه الكفاية ، أرى أنك لا تستطيع الفرار
من الزوينة .

صوت : [فى الخارج] : أى بنى ، أى بنى !

الشباب : يا إلهى ، أى مساء هذا ! ياخوان ، من يصرخ هكذا ؟

الخادم : [يدخل . يتحرك دائماً برفق شديد ويسير على أطراف
أصابعه]

لقد مات طفل البوابة وهم يحملونه الآن إلى مثواه
الأخير . إنها أمه تبكى .

الصديق : أمر طبيعى !

الشيخ : نعم ، نعم ! بيد أن مافات فات .

الصديق : ولكنه لا يزال فى طور الحدوث . [يتجادلان]

[الخادم يعبر خشبة المسرح ، فى طريقه إلى الخروج
من الباب الأيسر]

الخادم : سيدى . هلا تكرمت وتركت لى مفاتيح غرفة نومك ؟

الشباب : له ؟

الخدام : قتل الأطفال قطعاً وألقوه فوق قرميد الحديقة ، ولزم إنزاله .

الشباب : [بضيق] : خذها . [إلى الشيخ] أمر لا مفر منه .

الشيخ : لايهمنى فى شئ .

الصديق : ليس هذا صحيحاً . هو أمر يهيك بالفعل . أما من

لا يهيمه الأمر فهو أنا ، فأنا أعلم إيجابياً أن الجليد بارد وأن النار حارقة .

الشيخ : [هازئاً] : ليس دائماً !

الصديق : [للشباب] : إنه يخدعك .

[ينظر الشيخ نظرة حادة إلى الصديق كابساً قبعته]

الشباب : [فى عنف] : هو لا يؤثر فى شخصى أقل تأثير . إنه

أمرى أنا ولكنك أنت الذى ليس بوسعك أن تتفهم أن أنتظر امرأة خمسة أعوام ، مفعماً ومحترقاً بحب يزداد كل يوم .

الصديق : ليست ثمة حاجة إلى الانتظار .

الشباب : أعتقد أن بوسعى التغلب على الأمور المادية ، وعلى

العوائق التى تنشأ وسوف تطرد فى طريقى دون أن أسبب ألماً للآخرين ؟

الصديق : المهم أنت أولاً لا الآخرون .

- الشباب : إن أنتظر تحل العقدة وتطب الثمرة .
- الصديق : أنا أفضل أن أكلها خضراء ، بل وددت لو قطفت زهرتها ووضعتها في صدري .
- الشيخ : ليس هذا صحيحاً !
- الصديق : كيف لك أن تدرك هذا وأنت في هذه السن !
- الشيخ : [في صرامة] : ناضلت طيلة حياتي لعل أشعل قبساً في أشد الأماكن حلقة ، وعندما هم الناس بدق عنق الحمامة رددت أيديهم وساعدتها على الطيران .
- الصديق : وطبعاً مات الصياد من الجوع !
- الشباب : بورك هذا الجوع !
- [يدخل الصديق (٢) من الباب الأيسر ، يرتدى بذلة صوفية بيضاء رائعة وقفازين وحذاء بنفس اللون . يجب أن يكون تصميم البذلة مبالغاً فيه وأن تكون الأزوار زرقاء ضخمة ، وربطة العنق والصدارة من الدانتيل المموج . إذا لم يتح لشباب صغير السن أن يقوم بهذا الدور ، يمكن أن تقوم به فتاة .]
- الصديق (٢) : بورك الجوع في وجود خبز محمص وزيت ونعاس بعدهما . نعاس كثير . لا ينتهي أبداً . لقد سمعتك .
- الشباب : [غريزة] من أين دخلت ؟

الصديق (٢) : من أى مكان . من النافذة . ساعدنى طفلان ،
صديقان حميمان لى . عرفت هما عندما كنت صغيراً
جداً . دفعانى من قدمى . سوف يسقط مطر
غزير ... ولكن العام الماضى كان أجمل . حينئذ شح
الضوء حتى أن يديّ اصفرتا . [للشيخ] هل تتذكر
ياسيدى ؟

الشيخ : [متبرماً] لا أتذكر شيئاً .

الصديق (٢) : [للصديق (١)] : وأنت ؟

الصديق (١) : [جاداً] ولا أنا .

الصديق (٢) : كنت صغيراً جداً ولكننى أتذكره بكل دقة .

الصديق (١) : حسن ... !

الصديق (٢) : لذا فإننى لا أود رؤيته اليوم . المطر رائع . فى
المدرسة ، كان يدخل الأفنية ويرمى الحوائط بنسوة
صغيرات عاريات يحملهن فى طياته . ألم تروهن ؟
كنت حينئذ فى الخامسة من عمرى ، كلا ، كنت فى
الثانية ... أكذب ، كان عمرى عاماً واحداً فقط .
ما أجمله ، أليس كذلك ؟ فى أحد الأعوام ، أخذت
إحدى نسوة المطر هذه وتركتها فى حوض أسماك
يومين .

الصديق (١) : [ساخراً] : وهل نمت ؟

الصديق (٢) : كلا ، أخذت تتضائل شيئاً فشيئاً ، صارت أشد

طفولة ، كما هو مفروض وعادل ، حتى لم يبق منها

سوى نقطة ماء . وكانت تغنى أغنية ...

أعود من أجل جناحى ،

دعونى أعد .

أرجو الموت وأنا فجر

أرجو الموت وأنا

أمس .

أعود من أجل جناحى .

دعونى أعد .

أوجو الموت وأنا نبع ،

أرجو الموت خارج البحر ...

وهذا بالضبط ما أغنيه طوال اليوم .

الشيخ : [بعصية ، إلى الشاب] : لقد جن تماماً .

الصديق (٢) : [بعد أن سمعه] : جننت ؟ ألائننى لا أريد أن أعيش

نهباً للتجاعيد والأحزان مثلك ؟ ألائننى أريد أن أحيا

حياتى التى يحرموننى منها ؟ أنا لا أعرفك . لا أريد

رؤية أناس مثلك .

- الصديق (١) : [يشرب] : ما كل هذا سوى رعب من الموت .
- الصديق (٢) : لا ، الآن ، قبل أن أتى إلى هنا ، رأيتهم يحملون طفلاً إلى القبر كي يواروه التراب مع أول قطرة مطر . هكذا .
- أريد أن يدفنوني ، فى تابوت صغير كهذا ، ولتذهبوا أنتم لمنازلة العاصفة ! غير أن مُحياى ملكى ويسرقونه منى . كنت غضاً وكنت أغنى ، لكن الآن ثمة رجلاً [ينظر إلى الشيخ] سيداً مثلك ، يتحرك داخلى ومعه قناعان أو ثلاثة على أهبة الاستعداد [يخرج مرآة ويرى فيها صورته] بيد أن هذا لن يحدث بعد ، فما زلت أراى فوق أشجار الكريز .. أرتدى البذلة الرمادية بذلة رمادية بمراسى صغيرة فضية ... يا إلهى ! [يغطى وجهه بيديه] .
- الشيخ : تُشق الأردية وتصدأ المراسى ونسير إلى الأمام .
- الصديق (٢) : آه ، من فضلك ، لاتتكلم على هذا النحو !
- الشيخ : [متحمساً] : الأشياء تتداعى .
- الصديق (٢) : [محتدأ وفي موقف المدافع] : الأشياء لاتتداعى .
- الشيخ : [رابط الجأش] : تنطفىء العينان ويحصد منجل شديد المضاء أسل الضفاف .
- الصديق (٢) : بالطبع كل هذا يحدث فيما بعد !

- الشيخ : على العكس ، حدث هذا بالفعل .
- الصديق (٢) : إلى الورا ، يظل كل شئ ساكناً . كيف لك ألا تعلم هذا ؟ وليس بوسعنا سوى أن نوقظ الأشياء برفق .
- في المقابل ، في غضون أربع أو خمس سنوات ثمة بئر سنسقط فيها جميعاً .
- الشيخ : [غاضباً] : صه !
- الشباب : [مرتعداً ، إلى الشيخ] : أسمعت ياسيدى ؟
- الشيخ : بما فيه الكفاية . [يخرج مسرعاً من الباب الأيمن]
- الشباب : [يتبعه] : إلى أين ياسيدى ؟ لم تذهب على هذا النحو ؟ انتظر ! [يخرج فى إثره]
- الصديق (٢) : [رافعاً منكبيه] : حسن ، ماذا يمكن أن يتوقع من عجوز ؟ ومع هذا فانت لم تحتج .
- الصديق (١) : [بعد أن ظل يشرب بلا توقف] : كلا .
- الصديق (٢) : الخمر تكفيك .
- الصديق (١) : [فى جدية وصدق] : أنا أفعل ما يروقنى ، ما يبدو لى صحيحاً . لم أطلب رأيك .
- الصديق (٢) : [فى خوف] : أجل ، أجل . أنا لم أقل شيئاً ...
- [يجلس على أحد المقاعد وركبته مضممتان] .

[الصديق (١) يحتسى فى عجلة جميع الكؤوس آتيا
على آخرها ، ثم يرفع يده إلى جبهته كأنما تذكر
شيئاً . يخرج مسرعاً من الباب الأيسر . الصديق (٢)
الجالس يحنى هامته إلى أسفل . يظهر الخادم من ناحية
اليمن ، يسير برفق وعلى أطراف أصابعه دائماً . يبدأ
سقوط المطر .]

الصديق (٢) : الوابل . [ينظر إلى يديه] ما أقبح هذا الضوء .
[يغلبه النعاس]

الشباب : [يدخل] : سيعود حالاً . فأننا محتاج إليه . [يجلس]
[تظهر الفتاة كاتبة آلة الطباعة تحمل حقيبة . تعبر
خشبة المسرح ثم تعود فتتوسطها مسرعة .]

كاتبة الآلة : أكنت دعوتنى ؟

الشباب : [يفلق عينيه] : كلا ، لم أفعل .

[تهم بالخروج متلفتة فى لهفة ومنتظرة ناه]

كاتبة الآلة : [عند الباب] : أحتاجنى ؟

الشباب : [مغمضاً عينيه] : كلا ، لست فى حاجة إليك .

الصديق (٢) : [فى نعاسه] : أعود من أجل جناحى ،

دعونى أعد .

أرجو الموت وأنا

أمس .

أرجو الموت وأنا فجر .

[يبدأ هطول المطر]

الشباب : الوقت متأخر جداً . ياخوان ، أشعل الأنوار . كم الساعة الآن ؟

خـوان : [بنبرة ذات معنى] : تمام السادسة ياسيدى .

الشباب : حسن .

الصديق (٢) : [يحلم] : أعود من أجل جناحى ،

دعونى أعد .

أرجو الموت وأنا

نبح .

أرجو الموت .

خارج البحر .

[ينقر الشاب المائدة بأصابعه فى رفق]

(ستار بطى)

الفصل الثانى

غرفة نوم طراز ١٩٠٠ . أثاث غريب . ستائر ضخمة ذوات ثنايا وكريات كثيرة . رسومات سحب وملائكة على الحوائط . يتوسط المسرح فراش ملئ بالستائر والريش . على اليسار ثمة صوان تزين قوائمه على هيئة ملائكة تمسك بأغصان بها لمبات كهربائية . الشرفات مفتوحة وضوء القمر يدخل منها . يسمع صوت بوق سيارة مزعج . العروس التى ترتدي روبا رائعا مليئا بالدانتيل وله أشرطة ضخمة وردية اللون تقفز من الفراش . لها شعر طويل تغطيه « الرولوهات » .

العروس : [تطل من الشرفة] : اصعد [يسمع صوت بوق السيارة] يجب أن تصعد . سيأتى عريسى ، العجوز ، الشاعر ، وأحتاج مؤازرتك .
[يدخل لاعب الرجبى من الشرفة . يلبس واقين للركبة وخوذة ، ويحمل كيساً ممثلاً بالسيجار ، فهو يشعل سيجاراً ثم يطفئه بقدمه ، ثم يشعل آخر ، وهكذا دون توقف] .

العروس : ادخل . لم أرك منذ يومين [يتعانقان]

[لاعب الرجبي لا يتكلم . يدخل فقط ويسحق السيجار
بقدمه . يعطى انطباعاً شديداً بالحياة ويعانق
العروس فى قوة]

العروس : اليوم قبلتني بطريقة مختلفة . أنت دائم التغيير
يا حبيبي . بالأمس لم نلتق لكنني كنت أتفقد الجواد .
بدا رائعاً ، أبيض ، ذهبي الحوافر وسط تبن المزاود .
[تجلس على أريكة بجوار الفراش] لكنك أجمل منه ،
فأنت كالتنين [نعانقه] يهيا لى أنك ستحطم ضلوعي
بين ذراعيك ، لأنني ضعيفة ، لأنني صغيرة ، لأنني
مثل الجليد ، لأنني مثل قيثارة صغيرة حرققتها
الشمس ، بيد أنك لا تحطمني .

[ينفث لاعب الرجبي الدخان فى وجهها]

العروس : [تداعب رقبتة بيدها] : ثمة خلف كل هذه الظلمة
ما يشبه جسوراً من فضة متشابكة لكى تضمنى
وتحمينى ، لأنني صغيرة مثل زر ، لأنني صغيرة مثل
نحلة دخلت فجأة صالون العرش . أليس كذلك ؟ أليس
كذلك ؟ أليس كذلك ؟ سأذهب معك [تستند برأسها
إلى صدر اللاعب] أيها التنين ، ياتنينى ، كم قلباً لك ؟
ثمة ما يشبه السيل فى صدرك ، سأغرق فيه . سوف

أغرق [تنظر إليه] وأنت ستفر هارباً [تبكى]
وستتركنى على الضفاف ميتة . [لاعب الرجبى يضع
سيجاراً فى فمه والعروس تشعله له] أوه ! [تقبله]
أية جذوة بيضاء ، أية نار عاجية تسكبها أسنانك ؟
لعريسى أسنان ثلجية ، كان يقبلنى فتغطى شفتيه
وريقات يابسة ، شفاته جافتان . قصصت ضفائرى
لفرط حبه لها ، تماماً مثلما أسير الآن حافية القدمين
لأنك تحب هذا . أليس كذلك ؟ أليس هذا صحيحاً ؟
[يقبلها] علينا أن نرحل ، فعريسى أت .

صوت : [بالباب] : أنسة !

العروس : اذهب ! [تقبله]

صوت : يا أنسة !

العروس : [تتفصل عن اللاعب وتتصنع الشرود] إنى قادمة !

[تخفض من صوتها] : وداعاً ! [اللاعب الواقف

بالشرفة يعود إليها ويرفعها بين ذراعيه ويقبلها .]

صوت : افتح الباب !

العروس : [بنبرة مفتعلة] : ما أقل صبرك !

[يخرج اللاعب من الشرفة وهو يصفر]

الخادمة : [تدخل] آه يا أنسة !

- العروس : ما للآنسة ؟
- الخادمة : يا آنسة !
- العروس : ماذا ؟ [تضيء نور السقف . وهو ضوء أكثر زرقة من الضوء الداخل من الشرفات]
- الخادمة : لقد حضر عريسك !
- العروس : حسن ! وماذا أصابك ؟
- الخادمة : [باكية] : أبداً !
- العروس : أين هو ؟
- الخادمة : فى الطابق الأسفل .
- العروس : مع من ؟
- الخادمة : مع أبيك .
- العروس : وحدهما ؟
- الخادمة : معهما أحد السادة يلبس نظارة ذهبية اللون . يحتدم بينهم نقاش .
- العروس : سأرتدى ثيابى . [تجلس إلى صوان الزينة وتتجمل ، تساعدتها خادمتها]
- الخادمة : [باكية] : آه يا آنستى !
- العروس : [بعصبية] : ما لآنستك ؟
- الخادمة : آنستى !

- العروس : [بحدة] ماذا ؟
- الخادمة : إن عريسك لجميل .
- العروس : فلتتزوجيه أنت .
- الخادمة : يأتى مسروراً جداً .
- العروس : حقيقة ؟
- الخادمة : أحضر هذه الزهور .
- العروس : تعلمين أنى لا أحب الزهور . ألقى بها من الشرفة .
- الخادمة : ما أجملها ... ! لقد قطفت لتوها .
- العروس : [بلهجة أمرة] : تخلصى منها !
- [الخادمة تلقى من الشرفة بزهور كانت فى قارورة]
- الخادمة : أه يا آنستى !
- العروس : [غاضبة] : ماذا أصابك ؟
- الخادمة : يا آنستى !
- العروس : ماالذا ؟
- الخادمة : فكرى جيداً فيما أنت مقدمة عليه ! تعقلى . العالم كبير ونحن صغار .
- العروس : وأنت ، ماذا تعرفين ؟
- الخادمة : حسن . أعرف الكثير . ذهب أبى إلى البرازيل مرتين ، ولفرط صغره كان يمكن أن تسعه حقيبة سفر .

فُتُنسى الأشياء ولا يبقى سوى السَّيء منها .

العروس : قلت لك اصمتى .

الخادمة : أه يا أنستى !

العروس : [بحدة] : ملابسى !

الخادمة : ماذا ستفعلين ؟

العروس : مابوسعى !

الخادمة : رجل بهذه الطيبة . ينتظرك كل هذا الوقت . بكل هذه

اللهفة . خمس سنوات .

[تعطىها الأثواب]

العروس : أعطاك يده ؟

الخادمة : [مبتهجة] : نعم ، شد على يدى .

العروس : وكيف شد على يدك ؟

الخادمة : فى رقة شديدة . لم يشد عليها تقريباً !

العروس : أترين ؟ لم يشد على يدك .

الخادمة : كان لى خطيب جندى ، كان يرشق خواتمه فى يدى

ويجرحنى ، لذا تخلصت منه .

العروس : حقيقة ؟

الخادمة : أه يا أنستى !

العروس : أى ثوب أرتديه ؟

- الخادمة : ما أجملك فى الثوب الأحمر !
- العروس : لا أريد أن أبدو جميلة .
- الخادمة : الأخضر إذا !
- العروس : لا !
- الخادمة : البرتقالى ؟
- العروس : لا . [بحدة]
- الخادمة : ثوب التل ؟
- العروس : [أكثر حدة] : لا .
- الخادمة : ثوب أوراق الخريف ؟
- العروس : [بغضب وبشدة] : قلت لا . أريد ثوباً بلون التراب لهذا الرجل ، ثوباً بلون صخرة عارية ورباطاً من السعف فى خصرى . [يسمع صوت بوق السيارة ، تغلب العروس عينيها وتستمر فى الحديث بعد أن تغير تعبير وجهها] وإكليلاً من الياسمين فى عنقى وقد شد كل لحمى بغلالة بللها البحر . [تتجه صوب الشرفة]
- الخادمة : أرجو ألا يصل هذا مسامع عريسك !
- العروس : أن له أن يعلم . [تختار ثوباً عادياً بسيطاً] . هذا [ترتديه] .
- الخادمة : أنت مخطئة !

- العروس : له ؟
- الخادمة : كان عريسك يبحث عن شيء آخر . فى بلدتى ، كان ثمة شاب يصعد إلى برج الكنيسة ليرى القمر عن قرب ، فهجرتة عروسه .
- العروس : عين الصواب !
- الخادمة : قال إنه كان يرى محيا عروسه فى القمر .
- العروس : [بحدة] : أو يبدو لك هذا طيباً ؟ [تنتهى من ارتداء ملابسها أمام صوان الزينة وتضى اللمبات التى تحملها الملائكة] .
- الخادمة : حين تشاجرت مع الساعى ...
- العروس : هل تشاجرت مع الساعى ؟ الوسيم ... الوسيم ...
- الخادمة : بالطبع . أهديته منديلاً طرزته أنا وكتبت عليه « حبيبى ، حبيبى ، حبيبى » فأضاعه .
- العروس : اذهبى .
- الخادمة : أأوصد الشرفات ؟
- العروس : كلا .
- الخادمة : قد يحرق الهواء بشرتك .
- العروس : أود هذا . أود أن أستحيل سوداء ، أشد سواداً من

صسبى ، أود إن أقع ألا أنزف دماً وإن أقبض على
غصن توت ألا أجرح . يسير الناس جميعهم على حبل
وهم مغمضو الأعين . أما أنا فأريد قدمي راسختين .
ليلة أمس رأيت فيما يرى النائم أن جميع الأطفال
الصغار يكبرون بالصدفة وتكفى قوة قبلة لتقتلهم جميعاً .
يعيش خنجر أو مقص أبداً أما صدرى فيدوم لحظة .
واحدة فقط .

الخادمة : [متصنتة] : ها هوذا أبوك يحضر .

العروس : ضعى ثيابى الملونة فى حقيبة .

الخادمة : [ترتعد] : أجل .

العروس : وأعدى مفتاح الجراج .

الخادمة : [خائفة] : حسن .

[يدخل والد العروس . هو عجوز شارد الدهن .

يحمل منظاراً معظماً يتدلى من رقبته ويرتدى شعراً

مستعاراً أبيض وقفازين بنفس اللون وبذلة سوداء .

وجهه متورد وتنم حركاته عن قصر بسيط فى نظره .]

الآب : هل أنت مستعدة ؟

العروس : [فى ضيق] : لماذا يجب أن أكون مستعدة ؟

الآب : إنه هنا .

- العروس : ثم ماذا ؟
- الأب : حسن ، بما أنك مخطوبة والأمر يخص حياتك وسعادتك ، من الطبيعي أن تكونى سعيدة وواثقة .
- العروس : أنا لست كذلك .
- الأب : كيف ؟
- العروس : أنا لست سعيدة . وأنت ؟
- الأب : ولكن يابنتى ... ماذا سيقول هذا الرجل ؟
- العروس : ليقل مايشاء .
- الأب : لقد حضر ليتزوجك ، بعد أن كاتبتة خمسة أعوام طيلة غيابنا ، وأنت لم تراقصى أحداً فى عابرات المحيطات ... لم تلتفتى إلى رجل . أى تغير هذا ؟
- العروس : لا أريد أن أراه . أريد الحياة . هو يتكلم كثيراً .
- الأب : آه ! لم لم تقولى هذا من قبل ؟
- العروس : من قبل لم أكن أنا نفسى موجودة ! لم يكن ثمة سوى أرض ويحر ، بينما كنت أنام نوماً عذياً على وسائد القطار .
- الأب : هذا الرجل سوف يسبنى وله كل الحق . آه ، يا إلهى ! بعد أن كان كل شئ على أهبة الاستعداد ، بعد أن أهداك ثوب الزفاف الجميل . إنه هناك ، فى الداخل ،

فوق المانيكان .

العروس : لا تحدثنى عنه ، لا أريد .

الأب : وأنا ؟ أنا : أليس لى حق فى الراحة ؟ الليلة هناك

خسوف قمرى ، ولن أستطيع أن أشاهده من الشرفة .

عندما أصاب بضيق يصعد الدم إلى عيني ولا أرى .

ماذا نفعل بهذا الرجل ؟

العروس : افعل به ما شئت ، لا أريد أن أراه .

الأب : [بحدة ومستحثاً قوة إرادته] عليك أن تفى بوعدك !

العروس : لن أفعل .

الأب : لا مفر .

العروس : لا .

الأب : الجميع ضدى . [ينظر إلى السماء عبر الشرفة

المفتوحة] الآن يبدأ الخسوف . [يتجه إلى الشرفة]

لقد أطفأوا المصابيح الآن . [مغموماً] سيكون رائعاً !

ظللت أنتظره زمناً طويلاً والآن لا أراه . لم خدعته ؟

العروس : أنا لم أخدعه .

الأب : خمس سنوات ، يوماً بعد يوم . آه ، يا إلهى !

[تدخل الخادمة فى عجلة وتجرى صوب الشرفة .

تسمع أصوات فى الخارج]

- العروس : إنهما يتجادلان .
- الآب : من ؟
- العروس : هاهو قادماً . [تخرج مسرعة]
- الآب : ما بك ؟
- العروس : إلى أين تذهبين ؟ أغلقى الباب [بقلق]
- الآب : ولكن ، له ؟
- العروس : آه !
- [يدخل الشاب مرتدياً بذلة . يصلح من شعره . فى لحظة دخوله تضاء جميع أنوار المسرح وكذا أفرع المصابيح التى تحملها الملائكة . ينظر ثلاثة الأشخاص بعضهم إلى بعض فى سكون وصمت]
- الشباب : اسمحالى !
- [صمت]
- الآب : [فى حرج] تفضل بالجلوس .
- [تدخل الخادمة فى عصبية ويدأها الاثنتان على صدرها]
- الشباب : [ماداً يده للعروس] كان سفرأ طويلاً جداً ...
- العروس : [تنظر إليه نظرة متفحصة بون أن تترك يده] نعم ، رحلة باردة . أمطرت السماء ثلجاً كثيراً فى هذه

السنوات الأخيرة [تترك يده]

الشباب : معذرة ، ولكننى مهتاج من جراء الركض وصعود
الدرج ، تم ... فى الشارع ، ضربت أطفالاً كانوا
يقتلون قطعاً رمية بالحجارة .

العروس : [للخادمة] له يد باردة ، يد كقطعة الشمع .

الخادمة : قد يسمعك !

العروس : ونظرة قديمة . نظرة تتكسر كجناح فراشة متييسة .

الشباب : لا ، لا أستطيع أن أظل جالساً . أفضل أن نتحدث ،
بينما كنت أصعد الدرج تذكرت فجأة كل الأغنيات
التي كنت قد نسيتها ، ووددت لو غنيتها جميعاً فى آن
معاً . [يقترب من العروس] الصفائر ...

العروس : لم تكن لى صفائر قط .

الشباب : قد يكون القمر . قد يكون الهواء وقد صار أفواهاً ليقبل
رأسك .

[تتزوى الخادمة فى أحد الأركان . يطل الأب من

الشرفة ويستخدم المنظار المكبر]

العروس : وأنت ، أما كنت أطول قامة ؟

الشباب : نعم ، نعم .

العروس : أما كانت ابتسامتك عنيفة كطائر بلشون ؟

- الشباب : نعم .
- العروس : أما كنت تلعب الرجبي ؟
- الشباب : مطلقاً !
- العروس : [فى حماس] أما كنت تقبض على سبائب الجواد وتقتل فى يوم واحد ثلاثة آلاف تدرج ؟
- الشباب : البتة !
- العروس : إذا ... لم أتيت فى طلبى ؟ يداك كانت تغطيها الخواتم . أين توجد قطرة واحدة من دمك ؟
- الشباب : سأريق قطرة إذا أردت !
- العروس : [بحدة] إنه ليس دمك ! أنه دمي أنا !
- الشباب : لا أحد يستطيع الآن أن يفصل ذراعى عن عنقك !
- العروس : ماهما بذراعيك ، إنهما ذراعى ! إننى أنا التى أريد أن أحترق فى نار أخرى !
- الشباب : ليس ثمة سوى نارى [يعانقها] لأننى انتظرتك والآن أحقق حلمى . وليست ضفائرك حلماً لأننى سأضفر شعرك بيدي ، وليس خصرك حلماً ففيه يغنى دمي ، لأنه دمي نلته بصبر خلال المطر ، وهذا الحلم حلمى .
- العروس : [تتلمص نه] : دعنى . كان بوسحك أن تذكر أية كلمة

فيما عدا كلمة حلم . لا توجد أحلام هنا . لا أريد أن
أحلم ...

الشباب : والحب ؟

العروس : ولا الحب . اذهب !

الشباب : [فى رعب] ماذا تقولين ؟

العروس : ابحث عن امرأة أخرى يمكنك أن تضفر شعرها .

الشباب : [كأنما يستيقظ من وهمه] لا .

العروس : كيف أتركك تدخل مخدعى بعد أن ولجه آخر ؟

الشباب : آه ! [يغطى وجهه بيديه]

العروس : يومان فقط كانا كافيين لأحس بأننى مكبله بالأصفاد .

أسمع الآن أنين طفل يتعقبنى فى المرايا وبين دانتيل
فراشى .

الشباب : ولكن دارى قائمة الآن ، تحسست جدرانها بىدى .

أسأتركها للهواء يحيا فيها ؟

العروس : وأى ذنب اقترفته أنا ؟ أتريد أن أذهب معك ؟

الشباب : [يجلس على مقعد مقهوراً] أجل ، أجل . تعالى

معى .

العروس : أية مرآة ، أية منضدة أقرب إليك منى .

الشباب : ماعساى أن أفعل الآن ؟

- العروس : عليك بالحب !
- الشباب : أحب من ؟
- العروس : ابحث . فى الشوارع ، فى الريف .
- الشباب : [محتداً] كيف أبحث وأنت لى ، هنا ، بين يدي ، فى نفس هذه اللحظة . وليس بوسعك أن تصدينى لأتتى مبلاً بمطر خمس سنوات ، ولأن بعدك لاشئ هنالك ، لأتتى بعدك ليس بوسعى أن أحب ، لأن بعدك انتهى كل شئ .
- العروس : إليك عنى .
- الشباب : ليس خداعك ما يؤلنى . فأنت لست شريرة . أنت لاتعنين شيئاً . إنما يؤلنى كنزى المفقود وحبى بلا هدف . ولكنك ستأتين !
- العروس : لن أذهب معك !
- الشباب : حتى لا أضطر أن أبدأ من جديد ، أشعر أننى نسيت حتى الحروف .
- العروس : لن أذهب معك !
- الشباب : حتى لا أموت ، أسمعين ؟ حتى لا أموت .
- العروس : دعنى .
- الخادمة : [تدخل] أنستى ! سيدى !

[يترك الشاب العروس]
الأب : [يدخل] من يصرخ ؟
العروس : لا أحد .
الأب : [ينظر إلى الشاب] أيها السيد ...
الشاب : [مهزوماً] كنا نتحدث .
العروس : [لأبيها] لزام على أن أعيد إليه الهدايا ... [يومئ الشاب] فليس من العدل أن ... ، كلها فيما عدا المروحتين ... اللتين تهشمتا .
الشاب : [يتذكر] مروحتان .
العروس : إحداهما زرقاء ...
الشاب : وبها ثلاث جندولات غارقة ...
العروس : والأخرى بيضاء .
الشاب : فى وسطها رأس نمر و ... هما الآن محطمتان ؟
الخادمة : آخر قوائمها حملها صبي الفحام .
الأب : كانتا مروحتين جيدتين ... ، إلا أن ...
الشاب : [مبتسماً] لايهم فقدهما . فى هذه اللحظة نفسها تلفحاننى بهواء يشوى جلدى .
الخادمة : [للعروس] وثوب العروس أيضاً .
العروس : بالطبع .

الخادمة : [باكية] إنه هناك فى الداخل ، على المانيكان .

الأب : [للشباب] وددت لو ...

الشباب : لايهم .

الأب : على أية حال ، اعتبر نفسك فى منزلك .

الشباب : شكراً !

الأب : [ينظر دائماً فى اتجاه الشرفة] لابد أنه الآن فى بدايته . معذرة [للعروس] : أتأتين معى ؟

العروس : نعم . [للشباب] : وداعاً !

الشباب : وداعاً ! [يخرجان] .

صوت : وداعاً !

الشباب : وداعاً ... وبعد ؟ ماعسائى أن أفعل بهذه الساعة المقبلة والتى أجهلها ؟ إلى أين أذهب ؟

[يعتم ضوء المسرح ، تتخذ المصابيح التي تحملها الملائكة لوناً أزرق . يدخل ضوء القمر من الشرفات ثم تزداد شدته شيئاً فشيئاً . يُسمع أنين]

الشباب : [ينظر إلى الباب] : من ؟

[يدخل المانيكان وعليه ثوب العروس . وجهه وحاجبا .

وشفتا هذه الشخصية مذهبة كمانيكانات المحلات .

الراقية .]

الهانيكان :

من يلبس الفضة الغراء
فضة العروس الغضة السمراء ؟
ذيل في البحر ضال
ويلبس القمر زهر البرتقال .
خاتمي ، سيدي ، خاتمي الذهبي القديم ،
غاص في رمال المرأة .
من يلبس ثوبي ؟ من ؟
سيلبسه النهر الكبير ليتزوج البحر .

الشباب :

ماذا تغني ؟ قل !

الهانيكان :

أغني
موتاً لم أنله قط
والم طرحة مهملة ،
ببكاء من حرير وريش .
وثيابا داخلية أضحت
باردة كتلج أسود ،
دون أن تستطيع الأطرزة
أن تباري الزيد .
وقماشاً يستر البدن
مأله الماء العكر .

ويدل الهمس الدافئ ،
صلب مطر مهشماً .

من يلبس الثياب الغراء ،
ثياب العروس الفضة السمراء ؟

يلبسها الهواء المظلم
وهو يلعب الفجر فى كهفه ،
ويلبس الأسل شرائط الساتان
والقمر جوارب الحرير .

دع الطرحة للعناكب
لتأكل وتغطى

الحمام ، الواقع فى شرك
خيوطها الجميلة .

لن يلبس ثوبك أحد ،
يا شكلاً أبيض وضوءاً حائراً ،
فالحرير والجليد كانا
صروحاً هشة .

ذيل فى البحر ضال .

والقمر سيلبس فى جزع تاج زهر البرتقال .

[غاضباً] : لا أريد . فحريرى

الشباب :

الهانيكان :

الشباب :

الهانيكان :

خيطةً خيطاً وقطعة قطعة ،

يهفو إلى دفاء قم .

ويسأل قميصي

أين اليدان الدافئتان

تقبضان على خصري ؟

أنا أيضاً أسأل . صه !

كذبت . فالذنب ذنبك

يا مهرأ من رصاص وزيد ،

كُسر الهواء في لجامك

وكُبل البحر على صهوتك .

كان بوسعك أن تصير صهيلاً

لكنك بحيرة نائمة ،

بأوراقها الجافة ولبلابها

حيث يفسد هذا الثوب .

خاتمي ، سيدى ، خاتمي الذهبى القديم .

غاص فى رمال المرأة .

لم لم تأت من قبل ؟

كانت تنتظر عارية كحية من ريح

ارتخت أطرافها .

الشباب :

الهانيكان :

الشباب :

الهانيكان :

الشباب : [ينهض] : صه ! دعنى ! اذهب !
 وإلا حطمت غاضباً
 حروف الفل
 التى يخفيها حريك الأبيض
 اذهب إلى الشارع بحثاً
 عن كتفى عذارى ليلية
 أو قيثارات تبكيك
 ست صرخات موسيقية طويلة .
 لن يلبس ثوبك أحد .
 سأتبعك دائماً .
 مطلقاً !
 دعنى أحدثك .
 لا تحاول .
 لا أريد أن أعلم .
 اسمع .
 انظر .
 ماذا ؟
 ثوب صغير
 سرقته من الخياطة .

الهانيكان :
 الشباب :
 الهانيكان :
 الشباب :
 الهانيكان :
 الشباب :
 الهانيكان :
 الشباب :
 الهانيكان :

[يظهر له ثوبا وردياً لطفلاً]

ينابيع اللبن الأبيض
تبلى حريرى بالكرب
والم نحلة أبيض
يغمر قفاى بأشعته
ابنى . أريد ابنى
ترسمه على تنورتى
هذه الأشرطة التى تفجرنى
سعادة عند خصرى .
وهو طفلك .

الشباب :

نعم ، ولدى .
إليه تأتى وتلتقى
طيور حلم مجنون
ويسامين تعقل .
[مهموماً] وإن لم يأت ولدى ؟
الطائر الذى يشق الهواء
لا يستطيع الشدو .

الهانيكان :

لا يستطيع .
وإن لا يأتى ولدى ؟
الشباب :

الزورق الذى يشق الماء

لا يستطيع العوم .

لا يستطيع

يسكن جنك المطر ،

ويضحك بحر الحجر

آخر الأمواج المظلمة .

من سيلبس ثوبى ؟ من ؟

[بحماس وشدة] : تلبسه المرأة التى تنتظر على

شاطئ البحر .

تنتظرك دائماً ، أتذكر ؟

كانت فى دارك مخفية .

كانت تحبك ورحلت .

يغنى طفلك فى مهدها

وإذ هو طفل من جليد

ينتظر دمك أنت .

اسع وفتش عنها عسراً

وسلمها لى عارية

حتى يستطيع حريرى ،

خيلاً خيلاً وقطعة قطعة ،

المانيكان :

الشباب :

المانيكان :

الشباب :

المانيكان :

أن يفض الوردة التى تغطى
بطنها الأشقر اللحم .

سوف أحيأ !

بلا انتظار .

يغنى ولدى فى مهدها

وإذ هو طفل جليد

يرجو دفناً وعوناً .

هات الثوب .

[برفق] : كلا .

[يبتزعه منه] : أريده .

بينما أنت تقهر وتبحث

سأشدو بأغنية

عن تجاعيدك الغضة . [يقبله] .

فى التو . أين هى ؟

فى الشارع .

قبل أن يغسل القمر الأحمر

بدم الخسوف

تمام حناياها

سأحضر امرأتى عارية

الشباب :

الهانيكان :

الشباب :

الهانيكان :

الشباب :

الهانيكان :

الشباب :

الهانيكان :

الشباب :

ترتعث حياً .

[تشتد زرقة الضوء . تدخل الخادمة من اليسار تحمل شمعدانا ، بينما يعود المسرح إلى ضوئه المعتاد شيئاً فشيئاً ، دون إهمال ضوء الشرفة الأزرق . الشرفة مفتوحة وعلى مصراعها في خلفية المسرح . في اللحظة التي تدخل فيها الخادمة يتجمد المانيكان في مكانه كما لو كان في واجهة أحد المحال . ينحني رأسه إلى الأمام ويداه مرفوعتان على نحو رقيق جداً . تترك الخادمة الشمعدان على صوان الزينة . وهي دائماً مهمومة وتنظر إلى الشاب . في هذه اللحظة يدخل الشيخ من أحد الأبواب إلى يمين خشبة المسرح الضوء .]

الشباب : [في ذهول] : أنت !

الشيخ : [يظهر اضطراباً عظيماً ويرفع يديه إلى صدره . يحمل

منديلاً حريراً في يده] : نعم ، أنا [تخرج الخادمة

مسرعة]

الشباب : [في فظاظلة] : لا أحتاج إليك في شيء .

الشيخ : تحتاجني الآن أشد من أي وقت مضى . آه ، لقد

جرحتنى ! لم صعلت ؟ كنت أعلم أن ذلك سيحدث . آه ... !

الشباب : [في عنوبة] : ما بك ؟

الشيخ : [بحدة] : لاشئ . ما بى شئ . جرحت ، ولكن ...
يجف الدم ، وما فات فات [يشرع الشاب فى السير]
إلى أين ؟

الشباب : [فى سرور] : سأبحث .

الشيخ : تبحث عن ؟

الشباب : عن المرأة التى تحبنى . لقد رأيتها فى دارى ، ألا
تتذكر ؟

الشيخ : لا أتذكر . ولكن انتظر !

الشباب : كلا . سأذهب فى التو .

[يأخذه الشيخ من ذراعه]

الأب : [يدخل] : يا ابنتى ! يا ابنتى ! أين أنت ؟ ابنتى !

[يسمع صوت بوق السيارة]

الخادمة : [فى الشرفة] : أنستى ! أنستى !

الأب : [متجهاً صوب الشرفة] : يا ابنتى ! انتظرى ! انتظرى !

[يخرج]

الشباب : وأنا أيضاً ذاهب . فأنا مثلها أفتش عن زهرة دمي

الجديدة [يخرج مهزولاً]

الشيخ : انتظر ! انتظر ! لا تتركنى جريحاً ! انتظر ! انتظر !

[يخرج ويتلاشى صياحه]

الخادمة : [تدخل مسرعة وتأخذ الشمعدان وتخرج من ناحية

الشرفة] : أه ، الأنسة يا إلهى ، الأنسة !

[يسمع صوت بوق سيارة بعيد]

الهانيكان : خاتمى ، سيدى ، خاتمى الذهبى القديم

[سكون]

غاص فى رمال المرأة .

من سيلبس ثوبى ؟ من ؟

[سكون . يبكى]

سيلبسه النهر الكبير ليتزوج البحر

[يتهاوى ويبقى ممدداً على الأريكة]

[من الخارج] : انتظرررررر ... !

(ستار سريع)

صوت :

الفصل الثالث المنظر الأول

غابة . جذوع شجر كبيرة . فى الوسط مسرح مصغر تحيطه ستائر من طراز الباروك . الستار مسدل . يربط سلم صغير المنصة بخشبة المسرح . عندما يرتفع الستار يمر بين جذوع الشجر شخصان متشحان بالسواد ورأساهما أبيضان ، بلون الجير وأيديهما بيضاء أيضاً . تسمع موسيقى بعيدة . يدخل البهلوان . يرتدى زياً مقسماً بين الأبيض والأخضر ويمسك بقناع فى كل من يديه اللتين يخبئهما وراء ظهره . يتحرك على نحر تشكىلى مثل الراقص .

البهلوان :

يسير الحلم فوق الزمن
طافياً كزورق شراعى .
ليس لأحد أن يفلق الحب
فى قلب الحلم .

[يضع على وجهه قناعاً ذا تعبير غاية فى السعادة]

أه ، كيف يغنى الفجر ، كيف يغنى !
أية كتل من ثلج أزرق يقيمها !

[يرفع القناع]

يسير الزمن فوق الحلم
غائصاً حتى شعره .
الأمس والغد يأكلان
زهور حداد قاتمة .

[يضع على وجهه قناعاً لنائم]

أه ، كيف يغنى الليل ، كيف يغنى !
وأية أيقة من شقائق النعمان يقيمها !

[يخلع القناع]

على نفس العمود
- والحلم والزمن متعانقان -
يعبر أنين الطفل ،
اللسان المحطم للشيخ

[يضع القناع الأول]

أه ، كيف يغنى الفجر ، كيف يغنى !

[يلبس القناع الثانى]

أية أيقة من شقائق النعمان يقيمها !
وإذا تخيل الحلم أسواراً
فى سهل الزمن ،

يوحي الزمن إليه
بأنه يولد في ذات اللحظة .
أه ، كيف يغنى الليل ، كيف يغنى !
أية كتل من تلج أزرق يقيمها !

[منذ هذه اللحظة وحتى نهاية المنظر ، يسمع صوت
نفير خفيض على فترات متساوية كخلفية . تدخل فتاة
تتشح بالسواد ، ترتدى ملاء يونانية . تمشي قفزاً
وبيدها إكليل .]

الفتاة :

من يقول ،

من سيقول ؟

ينتظرني عاشقي

في قاع البحر .

البهلوان : [في ملاحظة] : كذب !

الفتاة : حقيقة !

فقدت رغبتى ،

فقدت الكشتبان

وفي الجذوع الكبيرة

عدت فوجدتهما .

البهلوان : [ساخراً] : حبل طويل جداً

طويل للنزول .	
قرش وأسماك	الفتاة :
وأغصان مرجان	
أسفل .	البهلوان :
أسفل جداً .	الفتاة :
نائماً .	البهلوان :
أسفل .	الفتاة :
رايات ماء أخضر	
تنصبه قبطاناً .	
[بصوت مرتفع وفي ملاحه] : كذب .	البهلوان :
[بصوت مرتفع] : حقيقة .	الفتاة :
فقدت إكليلى ،	
فقدت الكشتبان ،	
رفى نصف التفاتة	
عدت فوجدتهما .	
فى التو .	البهلوان :
فى التو ؟	الفتاة :
سترين عاشقك	البهلوان :
فى نصف التفاتة	

- الرياح والبحر .
- الفتاة : [خائفة] : كذب .
- البهلوان : حقيقة .
- أنا سأمنحك إياه .
- الفتاة : [فى قلق] : لن تمنحني إياه .
- فلا أحد يصل مطلقاً
- إلى قاع البحر .
- البهلوان : [بأعلى صوته ، كأنه فى سيرك] : سيدى الرجل ،
- تعال !
- [يدخل مهرج رائع المظهر ملابسه مليئة بالترتر .
- يعطي رأسه المغطى بالبوردة إيحاء بأنها جمجمة .
- يضحك ، يقهقه عالياً .]
- البهلوان : أنت ستعطى
- هذه الفتاة الصغيرة
- عريسها من البحر .
- المهرج : [يشمر عن ساعديه] : إلى بسلم !
- الفتاة : [خائفة] : حقيقة ؟
- المهرج : [للفتاة] : لكى أنزل .
- [إلى الجمهور] : مساء الخير !

- البهلوان : برافو !
- المهرج : [إلى البهلوان] : أنت ، انظر ناحية هناك !
- [البهلوان يلتفت وهو يضحك .] هيا ، اعزف !
- [يصفق تصفيقاً إيقاعياً]
- البهلوان : أعزف .
- أيها العريس ، أين أنت ؟
- [يعزف البهلوان على كمان أبيض بوترين ذهبيين .
- يجب أن يكون الكمان كبيراً ومسطحاً . يحرك رأسه
- مع الإيقاع]
- البهلوان : [يغير من صوته] : بين طحالب البحر الطازجة
- أنا ذاهب لأصطاد
- قواقع كبيرة
- وزنابق من ملح .
- الفتاة : [خائفة من الواقع] : لا أريد .
- المهرج : صه !
- [يضحك البهلوان]
- الفتاة : [فى خوف إلى المهرج] : سوف أقفز
- على العشب الطويل .
- وبعدها نذهب

إلى ماء البحر .

البهلوان : [مداعباً] : كذب .

الفتاة : [إلى المهرج] : حقيقة

[تسير باكية]

من كان يتصور ؟

من يصدق ؟

فقدت إكليلى ،

فقدت الكشتبان .

البهلوان : [فى شجن] : فى نصف التفاتة

الريح والبحر .

[تخرج الفتاة]

المهرج : [مشيراً بيده] : هناك .

البهلوان : أين ؟ له ؟

المهرج : لتمثل .

طفل صغير

يريد أن يستبدل

قطعة خبزه

بزهور من الفولاذ .

البهلوان : كذب .

المهـرج : [صارماً] . حقيقة .

فقدت الوردة والانحناءة ،

فقدت قلادتي ،

وفى عاج حديث

عدت فوجدتها .

البهلوان : [متخذاً وضع ممثل السيرك ، وكأنما يسمعه طفل] :

سيدي الرجل ، تعال ا [يبدأ فى السير]

المهـرج : [بصوت مرتفع ، ناظراً إلى الغابة ومتقدماً البهلوان] :

لاتصرخ

صباح الخير !

[فى صوت خفيض]

هيا !

اعزف .

أعزف ؟

البهلوان :

[بصوت مرتفع] فالسأ .

المهـرج : [يبدأ البهلوان فى العزف . فى صوت خفيض]

أسرع .

[بصوت مرتفع]

أيها السادة :

سوف أثبت ...

البهلوان : أنه فى عاج من سحاب

عاد فوجدها .

المهـرج : سوف أثبت ... [يخرج]

البهلوان : [خارجاً] : العجلة التى تدور

عجلة الريح والبحر .

[تسمع أصوات النفير . تدخل فتاة آلة الطباعة .

ترتدى ثياب التنس وقبعة بلون حاد . فوق ثوب التنس

ترتدى عباءة طويلة . تأتي فى صحبة القناع الأول

التي ترتدى ثوباً طراز ١٩٠٠ له ذيل طويل لونه فاقع

الصفرة ، ولها شعر حريرى أصفر مسترسل كأنه عباءة

وتلبس قناعاً أبيض من الجير وقفازين طويلين من نفس

اللون وقبعة صفراء وكل صدرها مغطى بالترتر المذهب .

والأثر الذى ينبغي أن تخلقه هذه الشخصية يجب أن

يكون كأثر شعلة متأججة فوق خلفية من اللون الأزرق

بدرجاته فى ضوء القمر ، ومن جذوع الشجر فى

الظلام . تحدث (من تقوم بهذا الدور) بلكنة

إيطالية خفيفة .]

القناع : [ضاحكة] : إنه لرائع حقاً !

كاتبة الآلة : ورحلت عن داره . أتذكر أن كانت ثمة زوبعة صيف عاتية مساء يوم رحيلي وكان قد مات ابن البوابة . قال لي : « هل ناديتني ؟ » فأجبتة مغلقة عيني : « كلا » . ثم عندما وصل الباب ، قال لي : « أحتاجين إلي ؟ » فقلت له : « لا ، لا أحتاجك » .

القناع : جميل !
كاتبة الآلة : كان دائماً ما ينتظرني واقفاً طوال الليل إلى أن أطل من النافذة .

القناع : وأنت يا أنستي كاتبة آلة الطباعة ؟
كاتبة الآلة : لم أكن أطل من النافذة . ولكن ... كنت أراه من خلال فتحات خصاص النافذة ... بلا حراك [تخرج منديلا] وكانت حال عينيه ... كان الهواء يدخل كالسكين ، بيد أنني لم يكن بوسعي أن أحادثه .

القناع : لم ياسنيوريتا ؟
كاتبة الآلة : لأنه كان يفرط في حبي .
القناع : « يا إلهي » ^(١) كان مثل الكونت أرتورو الإيطالي . آه ، الحب !
كاتبة الآلة : حقيقة !

القناع : في « بهو » ^(٢) أوبرا باريس ثمة شرفة ضخمة تطل

(١) في الأصل ، بالإيطالية .

(٢) Foyer

على البحر . كان الكونت أرتورو يأتى فى قارب وبين شفتيه زهرة كامليا ومعه طفله ، بعد أن هجرتهما . ولكننى كنت أغلق الستائر وألقى إليهما بماسة . آه ، ما أرقه من عذاب يا صديقتى ! [تيكى] كان الكونت وطفله يتضوران جوعاً وينامان بين الأغصان ومعهما كلب كان قد أهدانيه سيد من روسيا . [فى حدة وتوسل] أليك كسرة خبز لى ؟ للطفل الذى تركه الكونت أرتورو ليموت فى الجليد ؟ ... [مهتاجة] بعد ذلك ، ذهبت إلى المستشفى وهناك علمت أن الكونت تزوج سيدة عظيمة من روما ... ، ويعدها استجديت الناس وضاجعت الرجال الذين يفرغون الفحم على أرصفة الموانئ .

كاتبة الآلة : ماذا تقولين ؟ لم تتكلمين ؟

القناع : [بعد أن هدأت] : أقول إن الكونت أرتورو كان يحبني إلى حد أنه كان يبكي ومعه طفله خلف الستائر ، بينما كنت أن كهلال من فضة بين المنظار المعظم ومصابيح الغاز المتألقة تحت قبة أوبرا باريس العظيمة .

كاتبة الآلة : لذيذ ! ومتى يأتى الكونت ؟

القناع : ومتى يأتى صديقك ؟

- كاتبة الآلة : سيتأخر !
- القنـاع : وأرتورو أيضاً سيتأخر . فى يده اليمنى أثر طعنة خنجر .. بسببى ، بالطبع . [تريها يدها] ألا ترينها ؟ [تشير إلى عنقها] وهنا أخرى . أترينها ؟
- كاتبة الآلة : نعم ، ولشـ لماذا ؟
- القنـاع : لماذا ؟ لماذا ؟ ماذا أفعل أنا بلا جروح ؟ لمن هى جروح الكونت ؟
- كاتبة الآلة : هى جروحك ، فى الحقيقة ! منذ خمس سنوات وهو ينتظرنى ، لكن ... ما أجمل الانتظار بيقين اللحظة التى أصبح فيها محبوباً !
- القنـاع : وهل هو يقين ؟
- كاتبة الآلة : نعم ، إذا فلنضحك ' وأنا صغيرة كنت أخبئ الحلوى لآكلها فيما بعد .
- القنـاع : ها ، ها ، ها . أليس خذاك ؟ طعمها ألد .
- [تسمع الأبواق]
- كاتبة الآلة : [تبدأ السير] : إذا حضر صديقى - وهو طويل القامة جداً وكل شعره مجعد ، مجعد على نحو خاص - عليك أن تتصرفى كأنك لا تعرفينه .
- القنـاع : بالطبع يا صديقتى ! [تمسك بيدى فستانها]

[يدخل الشاب مرتديا بدلة Niker رمادية اللون

وجوارب مربعة زرقاء]

البهلوان : [يدخل] : هيه ؟

الشاب : ماذا ؟

البهلوان : إلى أين تذهب ؟

الشاب : إلى دارى .

البهلوان : [متحكماً] : حقيقة ؟

الشاب : طبعاً . [يبدأ السير]

البهلوان : هيه ! لايمكنك أن تمر من هناك !

الشاب : هل أغلقوا الطريق ؟

البهلوان : السيرك مقام هناك .

الشاب : حسن ! [يعود]

البهلوان : يغص بنظارة ساكنين نهائياً . [بعثوبة] ألا يريد

الشاب : السيد الدخول ؟

الشاب : نعم ، لا أريد .

البهلوان : [فى مبالغة] : بنى فيرجيل الشاعر ذبابة من ذهب

فمات جميع الذباب الذى سمم هواء نابولى . هناك ،

فى الداخل ، فى السيرك ، ثمة ذهب رخو ، كافٍ لعمل

تمثال بتنفس ... حجمك .

- الشباب : هل سد طريق المنتزة أيضاً ؟
- البهلوان : توجد هناك العربات وأقفاص الثعابين .
- الشباب : إذا ، سأعود من حيث أتيت . [يعاود السير]
- المهرج : [يدخل من الجانب المقابل] : ولكن إلى أين تذهب ؟
- ها ، ها ، ها !
- البهلوان : يقول إنه ذاهب إلى داره .
- المهرج : [يصفع البهلوان صفقة سيرك] : خذى أيتها الدار !
- البهلوان : [يخر على الأرض صارخاً] : آه ، إنها تؤلنى ، تؤلنى .
- المهرج : [إلى الشاب] : هيا !
- الشباب : [فى ضيق] : ولكن هل تريد أن تقول لى أى عبث هذا ؟ لقد كنت ذاهباً إلى دارى ، أعنى : ليس إلى دارى وإنما إلى دار أخرى ، كى ...
- المهرج : [يقاطعه] : كى تبحث .
- الشباب : نعم ، لأننى أحتاج هذا . كى أبحث .
- المهرج : [مسروراً] : ابحث . در نصف دورة . وستجده .
- صوت كاتبة : [تغنى] : إلى أين تذهب يا حبيبي ،
- الآلة : يا حبيبي ،
- والهواء فى كوب ،

والبحر فى زجاج ؟

[ينهض البهلوان . يقف الشاب وظهره لهما .
يخرجان دون أن يوليا ظهريهما وعلى أطراف
أصابعهما على إيقاع رقصة وكل إصبعه على شفتيه]

الشباب : [مندهشاً] : إلى أين تذهبن يا حبيبتي ،

أى حياتى ، أى حبيبتي ،
والهواء فى كوب

والبحر فى زجاج ؟

كاتبة الآلة : [تدخل] : أين ، أين من ينادينى ؟

الشباب : أى حياتى !

كاتبة الآلة : معك .

الشباب : على أن أحملك عارية ،

يا زهرة ذبلت وجسداً طاهراً ،

إلى حيث يرتعد الحرير

من البرد .

قملاءات بيضاء تنتظرك .

هيا بنا ، سريعاً . فى التو .

قبل أن تتن الأغصان

عنادل صفراء .

كاتبة الآلة :

أجل ، فالشمس حداة .
بل : صقر من زجاج .
لا : فالشمس جذع شجرة كبير
وأنت ظل نهر .
كيف إذا عانقتني ، قل ،
لا تولد زنايق وأسل
وكيف لاتذهب ذراعاك
بلون فستانى ؟

حبيبى : خلنى فى الجبل
مترعة بسحابة وبالندى ،
كى أراك عظيماً وحزينا
تغطى سماء نائمة .

الشباب :

لاتتحدثى هكذا ياطفلتى . هلمى .
لا أريد زمناً ضائعاً .
فدم طاهر ودفء عميق
يحملاننى إلى مكان آخر .
أريد أن أحيأ .

كاتبة الآلة :

الشباب :

مع من ؟
معك .

كاتبة الآلة : ما هذا الذى يسمع بعيداً جداً ؟
الشباب : يا حبيبتي ،

إنه اليوم يعود ،

يا حبيبتي !

كاتبة الآلة : [مبتهجة وكأنها تحلم] :

أيها العندليب المغنى ،

يا عندليب المساء الرمادى

على غصن الهواء

أيها العندليب . شعرت بك .

أريد أن أحيأ .

مع من ؟

مع ظل نهر .

الشباب :

كاتبة الآلة :

[تشعر بضيق وتحتمى بصدر الشاب]

ما هذا الذى يسمع من بعيد ؟

يا حبيبتي ،

إنه الدم فى حلقى ،

يا حبيبتي !

الشباب :

كاتبة الآلة :

هكذا دائماً ، دائماً ،

الشباب :

فى الصحو والمنام .
ليس هكذا أبداً ، أبداً !
هيا بنا من هذا المكان .

كاتبة الآلة :

انتظر !

الشباب :

الحب لا ينتظر !

كاتبة الآلة :

[تنفصل عنه] : أين تذهب يا حبيبى ،

والهواء فى كوب

والبحر فى زجاج ؟

[تتجه نحو سلم المسرح المصغر ، تنزاح ستائر هذا
المسرح وتظهر مكتبة الفصل الأول فى حجم أصغر
وبدرجات ألوان شاحبة . تظهر شخصية القناع الأصفر
على المنصة تحمل منديلاً مطرئاً وتستنشق زجاجة
أملاح بدون توقف]

القناع :

[لكاتبة الآلة] : فى هذه اللحظة نفسها هجرت

الكونت إلى الأبد . ومكث هناك فى الخلف مع طفله .

[تهبط السلم] أنا واثقة من أنه سيموت . ولكنه

أحبني حباً ! أحبني حباً ! [تبكى إلى كاتبة الآلة]
أما كنت تعلمين ؟ سيموت طفله تحت الجليد . لقد
هجرته . ألا ترين كم أنا سعيدة ؟ ألا ترين كيف
أضحك ؟ [تبكى] والآن سيبحث عني في كل مكان .
[تسقط على الأرض] سأختبئ داخل شجر التوت .
[بصوت خفيض] داخل أشجار التوت . أتحدث هكذا
لأننى لا أريد أن يسمعنى أرتورو . [بصوت مرتفع]
لا أريد ! قلت لك إننى لا أحبك ! [تذهب باكياً] أجل ،
أنت تحبنى ، ولكننى لا أحبك !

1 / يدخل خادمان يرتديان زياً باللون الأزرق ، ووجهاهما
شديداً الشحوب . يتركان إلى يسار خشبة المسرح
مقعدين لونهما أبيض . داخل المسرح الصغير يمر
خادم الفصل الأول وهو يسير دائماً على طرفى قدميه . [

كاتبة الآلة : [للخادم وهى تصعد سلم المسرح الداخلى] : إذا
جاء السيد فليدخل . [داخل المسرح الصغير] وإن
كان لن يحضر حتى يتأتى ذلك .
[يبدأ الشاب فى صعود السلم ببطء]

الشباب : [فى المسرح الداخلى ، ويحب] : أنت مسرورة هنا ؟

كاتبة الآلة : هل كتبت الرسائل ؟

الشباب : الدور العلوى أفضل . تعالى !

كاتبة الآلة : أحبيتك حباً !

الشباب : أحبك حباً !

كاتبة الآلة : سأحبك حباً !

الشباب : يبدو لى أننى أحتضر بدونك . أين أذهب لو هجرتنى .

لا أتذكر شيئاً . ليس للأخرى وجود . بينما أنت

موجودة ، لأنك تحبيننى .

كاتبة الآلة : لقد أحبيتك يا حبيبى ، سأحبك دائماً !

الشباب : الآن ...

كاتبة الآلة : لماذا تقول الآن ؟

[يظهر الشيخ على خشبة المسرح . يرتدى زياً أزرق

ويمسك بمنديل كبير به بقعة دم ، يرفعه إلى صدره

ووجهه . يظهر اضطراباً ويراقب فى أناة ما يحدث

على المسرح المصغر .]

الشباب : كنت أنتظر وأموت .

- كاتبة الآلة :** كنت أموت من الانتظار .
- الشباب :** لكن الدم يضرب صدغى بعقيداته النارية الصغيرة
والآن أنت لى أخيراً هنا .
- صوت :** [فى الخارج] : أى بنى ، أى بنى !
- [يعبر الطفل الميت المسرح الداخلى . يأتى وحده
ويخرج من أحد الأبواب إلى يسار المسرح]
- الشباب :** نعم ، يا ولدى . اجر داخلى كنملة وحيدة داخل صندوق
مغلق . [إلى كاتبة الآلة] قليلاً من الضوء لولدى ، من
فضلك . ما أصغره ... يضغط بأنفه الصغير زجاج
قلبى ، ومع هذا ، يحيا بلا هواء .
- القناع الأصفر :** [تدخل] : أى بنى !
- [يدخل قناعان آخران ويشهدان ما يحدث]
- كاتبة الآلة :** [فى تحكم وجفاف] : هل كتبت الرسائل ؟ إنه ليس
ابنك ، بل أنا . كنت تنتظر وتركتنى أرحل ، ولكنك
كنت تعتقد دائماً أنك محبوب . هل ما أقول كذب ؟
- الشباب :** [فى نفاذ صبر] : كلا ولكن ...
- كاتبة الآلة :** أنا ، فى المقابل ، كنت أعلم أنك لن تحببني أبداً . ومع
هذا انتشلت حبى وأبدلتك ورأيتك فى أركان بيتى .
[فى تأجج] أحبك ، لكن حبى يزداد وأنا بعيدة عنك .

ومن فرط هروبي أحتاج إلى تأمل البحر كي أتمكن من
تذكر اختلاجة ثغرك .

الشيخ : لأنه ، وقد بلغ عشرين عاماً ، يمكنه أن يبلغ عشرين
قمرأ .

كاتبة الآلة : [في شاعرية] : عشرين وردة ، عشرين شمالاً
جليدياً .

الشباب : [مقتظاً] : صه . ستأتين أنتِ معي . لأنك تحبينني
ولأنني لابد أن أعيش .

كاتبة الآلة : نعم ، أحبك ، بيد أن حبي أشد من هذا . ليست لك
عينان لقراني عارية ، ولا فم لتقبل جسدي الذي
لا ينتهي أبداً ، إليك عني . من شدة حبي ليس في
وسعي أن أتأملك .

الشباب : ولا دقيقة واحدة هيا بنا ! [يشدها من رسغيها]

كاتبة الآلة : إنك لتؤلني ، أي حبيبي !

الشباب : هكذا تحسین بی .

كاتبة الآلة : [في عذوبة] : انتظر ... سأذهب ... دائماً . [تعانقه]

الشيخ : هي ستذهب . اجلس يا صديقي . انتظر .

الشباب : [مغموماً] : كلا .

كاتبة الآلة : أنا الآن طويلة جداً . لم تركتني ؟ كدت أهلك من القر ،

واضطرت أن أفتش عن حبك حيث لا يوجد بشر .
بيد أنني باقية معك . دعني أهبط شيئاً فشيئاً حتى
أصل إليك .

[يظهر المهرج والجوكر . يحمل المهرج ستارة والجوكر
كماناً أبيض . يجلسان على الكرسيين]

المهرج :	موسيقى
الجوكر :	موسيقى أعوام .
المهرج :	أقمار وبحار لم تتفتح .
الجوكر :	تراجع ؟
المهرج :	كفن الهواء .
	وموسيقى كمانك .
الشباب :	[مستيقظاً من حلم] : هيا بنا !
كاتبة الآلة :	أجل ... أهذا أنت حقيقة ؟ هكذا ، يمثل هذه السرعة ، دون أن نتذوق على مهل هذه الفكرة الجميلة : غداً ؟ ألا تأسف على ؟
الشباب :	أعلى ، ثمة ما يشبه العش ويسمع شبدو العندليب ... ، حتى وإن لم يسمع ، وإن اصطدم الخفاش بالزجاج ...
كاتبة الآلة :	أجل ، أجل ، لكن ...

الشباب : [فى حدة] : ثغرك ! [يقبلها]
 كاتبة الآلة : فيما بعد ...
 الشباب : [فى تأجج] : فى الليل أفضل !
 كاتبة الآلة : سأذهب .
 الشباب : بلا تأخير !
 كاتبة الآلة : أود ! ... استمع .
 الشباب : هيا بنا !
 كاتبة الآلة : لكن ...
 الشباب : ماذا ؟
 كاتبة الآلة : سأرحل معك !
 الشباب : أى حبيبتي ، سأذهب معك !
 كاتبة الآلة : [خجلً] : فلتمض إذن خمس سنوات !
 الشباب : آه ! [يرفع يده إلى جيبته]
 الشيخ : [فى صوت خفيض] : برافو !

[يشرع الشاب فى هبوط السلم ببطء . تمكث كاتبة
 الآلة فى وضع متصلب على خشبة المسرح . يظهر
 الخادم على أطراف أصابعه ويغطيها بملاءة بيضاء
 كبيرة .]

المهرج : موسيقى
الجوكر : موسيقى أعوام .
المهرج : أقمار وبحار لم تفتتح ،
إلى الورا .
الجوكر : كفن الهواء .
المهرج : وموسيقى كمانك . [يعزفان]
القناع : يقبل الكونت صورتي وأنا أمازون .
الشيخ : لن نصل ، ولكننا سنرحل .
الشباب : [يائساً ، للمهرج] : الخروج ، من أين ؟
كاتبة الآلة : [فى المسرح المصغر وكما لو كانت تحلم]
: حبيبي ، حبيبي .
الشباب : [يرتعد] : أرني الباب .
المهرج : [مشيراً إلى اليسار فى تهكم] : من هنا .
الجوكر : [مشيراً إلى اليمين] : من هنا
كاتبة الآلة : سأنتظرك يا حبيبي ، سأنتظرك ! عد فى التو !
الجوكر : [بتهكم] : من هنا .
الشباب : [للمهرج] : سأحطم أقفاصك وسأترك .
أستطيع تسلق الجدار .

الشيخ : [مغموماً] : من هنا
الشباب : أريد أن أعود . دعوني !
الجوكر : تبقى الريح .
المهرج : وموسيقى كمانك .

[ستار]

« المنظر الثانى »

[نفس مكتبة الفصل الأول . إلى اليسار . ثوب العروس على
مانيكسان بلا رأس أويدين . حقائب عدة مفتوحة . وإلى اليمين :
مائدة .]

[يدخل الخادم والخادمة]

الخادمة : [فى دهشة] : حقيقة ؟

الخادم : هى الآن تعمل بوابة ، غير أنها فيما قبل كانت سيدة
عظيمة . عاشت حيناً طويلاً من الزمن مع كونت
إيطالى واسع الثراء ، والد الطفل الذى دفن منذ قليل .

الخادمة : يا للمسكين ! كم كان مظهره رائعاً !

الخادم : إلى تلك الحقبة يرجع ما أصابها من داء العظمة . لذا
بذلت كل ماتملك فى ملابس الطفل وفى النعش .

الخادمة : وفى الزهور ! أهديتها باقة ورود ، بيد أنهم لفرط
صغرها لم يدخلوها حجرتة .

الشباب : [يدخل] : خوان !

- الخادم : سيدى ! [تخرج الخادمة]
- الشباب : أعطنى كوباً من الماء البارد . [يبدو الشاب يائساً ومنهكاً]
- [يقدم له الخادم الماء]
- الشباب : ألم تكن هذه النافذة أكبر ؟
- الخادم : نعم .
- الشباب : من المروع أن تكون بهذا الضيق . كان لدارى فناء فسيح ، كنت ألعب فيه بجيادى الصغيرة . وحين رأيته ، وأنا فى العشرين من عمرى ، كان من الصغر إلى حد بدا لى مستحيلاً أن أكون طرت فيه بتلك الكثرة .
- الخادم : هل سيدى على مايرام ؟
- الشباب : أو تكون على مايرام نافورة تضخ ماء ؟ أجب .
- الخادم : لا أعرف .
- الشباب : أو تكون على مايرام دوارة هواء تدور حسبما تشاء الريح ؟
- الخادم : إن سيدى ليضرب لى أمثلة ... على أنى وددت لو سألتك ، إذا سمح سيدى ... ، هل الريح على مايرام ؟
- الشباب : [بجفاف] : أنا على مايرام .
- الخادم : أصبت كفايتك من الراحة بعد السفر ؟

- الشباب : أجل .
- الخادم : شد مايسرنى ذلك . [يبدأ فى السير]
- الشباب : خوان . هل ملابسى معدة ؟
- الخادم : أجل ، ياسدى : إنها فى حجرة نومك .
- الشباب : أية بذلة ؟
- الخادم : الفراك . لقد بسطها على الفراش .
- الشباب : [مهتاجاً] . ارفعها إذا . لا أريد أن أصعد وأجدها ممددة على فراش كبير وخاو كهذا . لا أدري من صاحب فكرة شرائه . كان لى من قبل فراش صغير . أتذكر ؟
- الخادم : أجل ، ياسيدى . المصنوع من خشب الجوز المزخرف .
- الشباب : أجل . المصنوع من خشب الجوز المزخرف . لكم كان الرقاد فيه طيباً . أذكر ، حين كنت طفلاً ، أنى رأيت قمراً عظيماً يولد خلف سياج قدميه ... أم كان بين قضبان الشرفة ؟ لست متيقناً . أين هو ؟
- الخادم : قام سيدى بإهدائه .
- الشباب : [متفكراً] : لمن ؟
- الخادم : [جاداً] : إلى كاتبة الآلة القديمة .
- [يشرّد الشاب بفكره]

- الشباب : [مشيراً إلى الخادم بالانصراف] : حسن .
 [يخرج الخادم]
- الشباب : [فى ضيق] : خوان .
- الخادم : [فى صرامة] : سيدى .
- الشباب : لعلك أعددت الحذاء اللامع .
- الخادم : الحذاء ذو الشريط الحريري الأسود .
- الشباب : حرير أسود ... كلا ... أحضر حذاء آخر . [ينهض]
 أمن المعقول أن يكون الهواء فى هذه الدار خانقاً دائماً ؟
 ساقص كل زهور الحديقة وخاصةً تلك الدلفى اللعينة
 التى تتسلق الجدران ، وتلك الأعشاب التى تنبت
 وحدها فى منتصف الليل ...
- الخادم : يقولون إن شقائق النعمان والخشخاش تسببان ألم
 الرأس فى ساعات بعينها من النهار .
- الشباب : ربما كان ذلك ، خذ هذا أيضاً . [مشيراً إلى المعطف]
 اتركه فى غرفة السطح .
- الخادم : حسناً . [يتأهب للخروج]
- الشباب : ودع الحذاء اللامع . ولكن غير الأشرطة .
 [يدق الجرس]
- الخادم : [يدخل] : إنهم السادة ، جاعوا للعب .

الشباب : [فى ضيق] : أه !
الخادم : [عند الباب] : على سيدى أن يرتدى ملابسه .
الشباب : [خارجاً] : أجل . [يخرج كالظل تقريباً]

[يدخل المقامرون . وهم ثلاثة . يرتدون حلاً من طراز الفراك ، وعباءات طويلة من الساتان الأبيض تصل حتى أقدامهم]

المقامر (١) : كان ذلك فى مدينة البندقية . عام مقامرة سيئ . لكن ذلك الصبى كان مقامراً بحق . كان شاحباً ، ومن شدة شحوبه لم يكن أمامه ، فى اللعبة الأخيرة ، سوى أن يلقي ورقة « أس القلب » ، قلبه هو ، مليئاً بالدم . ألقاها وحين هم يأخذها [يخفض صوته] لكى ... [يتلفت حوله] وجد « أس الأقداح » ينضح بما فيه ، وفر وهو يعب منه ومعه فتاتان عبر القنال الكبير .

المقامر (٢) : لا تجب الثقة فى الشاحبين أو الملونين من الناس ؛ فهم يقامرون لكنهم حذرون .

المقامر (٣) : فى الهند ، قامرت رجلاً عجوزاً وما إن نقدت آخر

قطرة من دمه على الورق وبينما كنت أتحين لحظة
الوثوب عليه ، خضب كل الأقداح باللون الأحمر
مستخدماً نوعاً خاصاً من الأنيلين وتمكن من الفرار
بين الأشجار .

المقاهر (١) :
نقامر ونكسب ، ولكن لكم يكفلنا ذلك ! يشرب الورق
دماً لذيذاً في اليدين ومن الصعب قطع الخيط الذي
يصلهما .

المقاهر (٢) :
لكننى أرى أننا مع هذا الرجل ... لم نخطئ .

المقاهر (٣) :
لا أعرف .

المقاهر (١) :
[للمقاهر (٢)] : لن تتعلم البتة كيف تعرف زبائنك .
هذا ؟ إن الحياة لتفر منه من مقلتيه اللتين تبللان
شفتيه وتصبغان صدارة بذلته الفراك بلون أزرق .

المقاهر (٢) :
أجل ، لكن تذكر الطفل شبه المحتضر الذي لعب معنا
فى السويد وكاد يعمى ثلاثتنا بسيل الدم الذى قذفنا به .

المقاهر (٣) :
الورق . [يخرج ورق اللعب]

المقاهر (٢) :
يجب أن نلزم الرقة معه حتى لايقاوم .

المقاهر (٣) :
على أنه لا الأخرى ولا الأنسة كاتبة الآلة ستفكران فى
الحضور إلى هنا حتى تمضى خمس سنوات ، هذا
إذا جاعتا .

- المقامر (٣) : [يضحك] : هذا إذا جاعتا ؛ ها ، ها ، ها !
- المقامر (١) : لا بأس فى أن نسرع فى كل لعبة .
- المقامر (٢) : إنه يحتفظ بورقة « أس » .
- المقامر (٣) : أس قلب شاب ، قد تتزلق عنه السهام .
- المقامر (١) : [فى سرور وعمق] : أخبئ سهاماً فى لعبة التسديد على الهدف .
- المقامر (٢) : [بفضول] : أين !
- المقامر (١) : [فى تهكم] : فى لعبة التسديد على الهدف ، ولا ترشق فقط أصلب الفولاذ بل وأرق الشاش . وهذا الأصعب فعلاً [يضحكون] .
- المقامر (٢) : على أية حال ، سنرى .
- [يظهر الشاب ، يرتدى بذلة الفراك]
- الشباب : أيها السادة [يشد على أيديهم] لقد بكرتم فى الحضور . الطقس شديد الحرارة .
- المقامر (١) : ليس إلى هذا الحد .
- المقامر (٢) : [للشباب] : أنيق كعادتك .
- المقامر (٢) : أناقة أخرى بالأ تعاوذ خلع ملابسك أبداً .
- المقامر (٣) : فى بعض الأحيان تناسبنا الملابس إلى حد أننا لانود أن ...

المقاهر (٢) : [مقاطعاً] : إلى حد أننا لانستطيع أن ننزعها عن أجسادنا .

الشباب : [فى ضيق] : تبالغون فى لطفكم .

[يظهر الخادم حاملاً صينية عليها أقداح يتركها على المنضدة]

الشباب : أنبدأ ؟

[يجلس ثلاثهم]

المقاهر (١) : على أهبة الاستعداد

المقاهر (٢) : [بصوت خفيض] : انتبها جيداً .

المقاهر (٣) : ألا تجلس ؟

الشباب : نعم ... أفضل اللعب واقفاً .

المقاهر (٣) : واقفاً ؟

المقاهر (٢) : [بصوت منخفض] : سيعوزك الكثير من الانتباه .

المقاهر (١) : [يوزع الورق] . كم ورقة ؟

الشباب : أربعاً . [يعطيها الآخرين]

المقاهر (٣) : [بصوت خفيض] : هذا الدور باطل .

الشباب : ما أبرد هذا الورق ! لاشئ البتة . [يتركها على

المنضدة [وأنتم ؟

المقامر (١) : [بصوت خفيض] : لاشئ . [يعطيه ورقاً مرة أخرى]

المقامر (٢) : [ينظر إلى أوراقه] : لاشئ ! رائع !

المقامر (٣) : [ينظر إلى أوراقه في قلق] : لاشئ ! فلنر !

المقامر (١) : [للشاب] : دورك ياسيدى .

الشباب : [مبتهجاً] : ألعب أنا . [يرمى ورقة على المنضدة]

المقامر (١) : [في حدة] وأنا .

المقامر (٢) : وأنا .

المقامر (٣) : وأنا .

الشباب : [مهتاجاً وفي يده ورقة] : والآن ؟

[يبرز المقامرون الثلاثة أوراقهم ، أما الشاب فيتوقف

ويخبئ أوراقه في يده]

الشباب : خوان . قدم شراباً لهؤلاء السادة .

المقامر (١) : [في رقة] : هلا تفضلت سيدى بالورقة ؟

الشباب : [مكروباً] : أى شراب تفضلون ؟

المقامر (٢) : [في عنوبة] : الورقة ؟

الشباب : [للمقامر (٣)] : يقيناً أن ألايتسون سينال

- استحسانك . إنه شراب ...
- المقاهر (٣) : من فضلك ... ، الورقة ...
- الشباب : [للخادم الذى يدخل فى هذه اللحظة] : كيف ؟
- ألا يوجد ويسكى ؟ [عند دخول الخادم ، يلتزم المقامرون الصمت وفى أيديهم ورق اللعب] ولا كونياك ؟
- المقاهر (١) : [بصوت خفيض ومختبئاً من الخادم] : الورقة .
- الشباب : [مكروباً] : الكونياك شراب من يجيد المقاومة من الرجال .
- المقاهر (٢) : [محتداً ولكن بصوت خفيض] : الورقة .
- الشباب : أم تفضلون « شارتروز » ؟
- [يخرج الخادم]
- المقاهر (١) : [واقفاً ومحتداً] : أرم من فضلك .
- الشباب : فى التو . ولكن لنشرب .
- المقاهر (٣) : [فى حدة] : يجب أن نلعب .
- الشباب : [محتضراً] : أجل ، أجل . قليلاً من الشارتروز .
- فالشارتروز كلية عظيمة ذات قمر أخضر داخل قلعة فيها شاب وأعشاب بحرية ذهبية .
- المقاهر (١) : [فى شدة] : لزام عليك أن تعطينا الآس .
- الشباب : [إلى نفسه] : قلبى .

- المقامر (٢) : [محتداً] : فلامفر من المكسب أو الخسارة . هيا ، ورقتك .
المقامر (٣) : هيا .
المقامر (١) : ارم الورقة .
الشباب : [فى ألم] : ورقتى .
المقامر (١) : الأخيرة .
الشباب : سألعب . [يضع الورقة على المنضدة]

[فى هذه اللحظة ، بين رفوف المكتبة ، يظهر آس
قلب مضى . يخرج المقامر (١) مسدساً ويطلق
سهماً بلا صوت . يختفي آس القلب ويضع الشاب
يديه على قلبه]

- المقامر (١) : علينا بالفرار ،
المقامر (٢) : يجب أن نسرع ،
المقامر (٣) : قص ، قص جيداً

[المقامر (١) يقص الهواء بمقص عدة مرات]

- المقامر (١) : [بصوت منخفض] : هيا .

المقاهر (٢) : أسرعا . [يخرجون]
المقاهر (٣) : يجب ألا ننتظر البتة .
الشباب : خوان ، خوان ، ينبغي أن أحيأ .
الصدى : خوان ، خوان .
الشباب : [يحتضر] : فقدت كل شئ .
الصدى : فقدت كل شئ .
الشباب : حبي ...
الصدى : حبي .
الشباب : [على الأريكة] : خوان .
الصدى : خوان .
الشباب : أليس هنالك ... ؟
الصدى : ليس هنالك ...
صدى ثانٍ : [أبعد] : أليس هنالك ... ؟
الشباب : لا أحد هنا ؟
الصدى : هنا ...
صدى ثانٍ : هنا ...

[يموت الشاب . ويظهر الخادم حاملاً شمعداناً مضيئاً .
تدق الساعة الثانية عشرة . ستار]

ماریانا بینیدا

هذه ترجمة لطبعة دار نشر كاتدرا ، مدريد ، ١٩٩١ ، تحقيق لويس مارتينث كويتينيو . وهي تعتمد المخطوطة الأصلية التي كتبها الشاعر بخط يده في عام ١٩٢٥ .

جدير بالذكر أن ثمة طبعات أخرى ، راجعها أو صححها محقق المخطوطة ، منها :

- طبعة مجلة لافارسا [١٩٢٨] .
- طبعة دار نشر لوسادا [١٩٣٨] .
- طبعة دار نشر أجيلار [١٩٤٥] .

[المترجم]

مدخل

عمل مبكر لجارثيا لوركا ، يستدعى أساليب الدراما الرومنطقية ، ويحيى مناخ النصف الأول من القرن التاسع ، وتتشكل فيه تيمات وموتيفات كرسها فيما بعد مسرح لوركا .

ومن أهم ما يلاحظ في هذا العمل أمران ، أولهما أن ماريانا بينيدا شخصية تاريخية عاشت في الثلث الأول من القرن الماضي . أما الأمر الثاني فهو أن قصة هذه الشخصية تحولت إلى سيرة شعبية تغنى وسمع لوركا الأطفال يغنون مقاطع منها لأول مرة حينما كان برفقة والدته في شوارع غرناطة ، في طفولته . وبالطبع ، تضمن المسرحية عدداً من أبيات السيرة الشعبية ، وتتنظم عدداً آخر محوراً^(١) .

نضجت فكرة هذا العمل في خيال المؤلف بدءاً بعام ١٩٢٣ ، ومن ثم راح يبحث عن التوثيق التاريخي للأحداث والشخوص والمناخات . يقول لوركا في خطاب لصديقه جاييجو بورين كتبه في يونيو ١٩٢٣ :

« أنا فقط أريد الحصول على ترجمة لحياتها وبعض الملاحظات عن المؤامرة . فكما تعلم أهم ما في مسرحيتي هو الشخصية التي أريد

(١) انظر لويس مارتنيث كويتينيرو ، مدريد كاندرا ، ١٩٩١

بناءها والحكاية التي لا تمت بصلة إلى الحقيقة التاريخية ؛ لأننى أنا الذى ابتدعتها ، وأريد منك أن ترشدنى فيما يختص بيدروسا ، وأن تخبرنى أين بوسعى الإحاطة بأحوال غرناطة فى تلك الحقبة . »

الشخصية التاريخية – موجز (٢) :

ولدت ماريانا بينيدا فى غرناطة عام ١٨٠٤ . كان والدها ، دون ماريانو دى بينيذا إى راميرث ، المولود فى جواتيمالا والغرناطى الأصل ، قد تقاعد من بحرية جواتيمالا فى الثامنة والأربعين من العمر لأسباب صحية ورحل إلى غرناطة ، موطن أجداده . بعد عامين التقى فى لاشانة – من قرى قرطبة – بماريا دى لوس دولوريس مونيوث ، وكانت فى السادسة عشرة من عمرها . لم يتمكنوا من الزواج فى غرناطة للفارق الاجتماعى والعمرى ، ففرا من هناك إلى أشبيليا ثم عادا إلى غرناطة فى عام ١٨٠٣ . بعد وفاة والدها واختفاء والدتها من حياتها إلى الأبد بعد زواجها من آخر ، عاشت ماريانا فى كنف زوجين بلا أولاد : دون خوسيه دى ميسا ودونيا أورسولا .

فى الخامسة عشرة من العمر ، يأسر جمالها أحد ضباط الجيش فيتزوجها وينجبان ولدين : خوسيه ماريا وأورسولا ماريا . لكن الزوج

(٢) نفس المصدر .

يقضى نحبه قبل أن يتم زواجه عامه الثالث .

فى ذلك الوقت ، كانت إسبانيا تحت الحكم المطلق لفرناندو السابع الذى شن حملات مكثفة لتعقب الليبراليين بعد إلغاء دستور ١٨١٢ . وشاركت ماريانا بدور نشط على ما يبدو فى الحركة الليبرالية المحظورة بتأثير من زوجها الذى تعرفت إليه فى الاجتماعات التى كانت تعقد فى منزل والديها بالتبنى .

فى عام ١٨٢٨ ، ألقى القبض فى غرناطة على أحد أعمام ماريانا ، القس بدور جارتيا دى لاسرانا ، وأحد أبناء عمومتها ، فرناندو ألبارث دى سوتو مايور ، ضباط بالجيش أوحى للوركا بشخصية دون بدور دى سوتو مايور ، محبوب ماريانا فى العمل ، وربما أوحى له اسمه « فرناندو » بشخصية الشاب العاشق الوفى فى المسرحية .

فى عام ١٨٣٠ ، يتأهب الليبراليون للقيام بالتمرد فى عدة مدن أندلسية من بينها غرناطة . ويطلبون من ماريانا أن تصنع راية لهم فتعهد بالمهمة إلى عدة نسوة من حى البيازين ، وفى العام التالى ، يشى بهم والد أحد القساوسة الموالين للحركة الليبرالية لرامون بدروسا ، رئيس الشرطة ، فينفخ النسوة رشوة ويأمرهن بإخفاء الراية فى منزل ماريانا ، يتم تحديد إقامة ماريانا ، وإزاء رفضها المساومة على حياتها يصدر عليها حكم الإعدام .

فى السادس والعشرين من مايو عام ١٨٣١ ، ماتت ماريانا بينيدا على المقصلة وهى لم تكد تتم عامها السابع والعشرين ، فى أوج شبابها وحسنها .

وقبل انصرام خمسة أعوام ، انتصرت الحركة الليبرالية ورد لماريانا بينيدا اعتبارها . ونقل رفاتها فى احتفال مهيب إلى كنيسة عذراء أنجوستياس فى نفس اليوم الموافق للذكرى الخامسة لرحيلها .

د . محمد أبو العطا

الشخصيات

ماريانا بينيدا

إيسابل لاكلابيللا

دونيا أنجوستياس

أمبارو

لوثيا

الطفل

الطفلة

الراهبة كارمن

راهبة (١)

راهبة (٢)

الراهبة الأولى

قرناندو

دون بدرو دى سوتومايور

بدروسا

أليجريتو

متأمر (١)

متأمر (٢)

متأمر (٢)

متأمر (٤)

[المرأة التي تحمل الشمعدان ، صبايا ، راهبات]

مقدمة

بستار يمثل قوس « لاس كوتشارس » العربى المنذر ومنظور ميدان
« باب الرملة » . المشهد سيكون مؤطراً باللون الأصفر ، كلوحة قديمة ،
مضاعة بالألوان الأزرق والأخضر والوردي والسماوى . أحد المنازل
المرئية مرسومة عليه مشاهدة بحرية وأكاليل فاكهة . ضوء القمر . فى
الخلف ، ستغنى الصبايا ، تصاحبهن موسيقى ، الأغنية الشعبية :

أوه ! ما أحزن ذلك اليوم فى غرناطة ،

يوم أبكى الحجر ،

لرؤية ماريانيتا تموت على المقصلة

لأنها لم تعترف .

جالسة فى حجرتها ،

ماريانيتا لاتنى تفكر :

« لو يرانى بدروسا أطرز

راية الحرية .»

[من إحدى النوافذ تطل امرأة ومعها شمعة كبيرة مشتعلة يتوقف

الخورس] .

المرأة : أيها الصبية ! ألا تسمعينى ؟

الصبية : (من بعيد) إني قادمة !

[تحت القوس تظهر صبية تلبس رداء على وتيرة

منتصف القرن التاسع عشر ، تغنى]

مثل زنبقة

قطفوا الزنبقة ،

مثل وردة قطفوا الزهرة ،

مثل زنبقة قطفوا الزنبقة ،

فغدت نفسها أجمل .

[فى أناة تدخل بيتها . فى الخلفية يستمر الخورس]

أوه ! ما أحزن ذلك اليوم فى غرناطة ،

يوم أبكى الحجر .

[ستار بطيء]

اللوحة الأولى

بيت ماريانا . حوائط بيضاء . فوق منضدة ، سلة فواكه زجاجية
ملينة بثمار السفرجل . كل السقف سيكون مليئاً بنفس الفاكهة ، معلقة .
فوق الخزانة ، أغصان كبيرة من الورود الحريرية . مساء خريفى . عندما
يرفع الستار ، تظهر نونيا أنجوسيتاس ، ، والدة ماريانا بالتبنى ،
جالسة ، تقرأ . ترتدى ملابس داكنة . تبدو باردة ودعوم فى آن . إيسابل
« لاكابيلا » تنزىا بزى شعبى بهيج . وهى فى السابعة والثلاثين من
عمرها .

المشهد الأول

كلابيا : [تدخل] والصبية * ؟
أنجوستياس : تطرز وتطرز ونيداً .
رأيتها من ثقب المفتاح .
ولاح الخيط الأحمر ، بين أناملها ،

* من الشائع فى الجنوب الإسباني استخدام لفظ nina (طفلة ، صبية ، فتاة) للإشارة إلى
المرأة من قبيل التدليل : وكذلك التصغير وخاصة اسم العلم ، من قبيل « ماريانيتا » بدلاً من
« ماريانا » وهكذا .. (المترجم)

جرح سكين فوق الهواء .

كلابيل : ما أشد خوفاً !

أنجوستياس لا تحدثي بذلك !

كلابيل : (فى شغف) أيفتضح الأمر ؟

أنجوستياس : على الأقل فى غرناطة لا أحد يعلمه .

كلابيل : لم تطرزي تلك الراية ؟

أنجوستياس : هى تقول لى

إن أصدقاءها الليبراليين يضطرونها .

(بنبرة معينة)

لون بدرو ، على وجه خاص ؛ ومن أجلهم

تعرض نفسها .. لا لا أود تخيله .

كلابيل : لو أنى أفكر كامرأة قديمة ، لقلت إنها ...

ممسوسة .

أنجوستياس : (فى التو) عاشقة .

كلابيل : (فى التو) حقاً ؟

أنجوستياس : (فى إبهام) من يدري ؟

(بنبرة غنائية)

راحت بسمتها شبه بيضاء ،

كزهرة قديمة متفتحة فى مطرُز .

هى عليها أن تدع تلك الدسائس .

قيم تهمها أمور الطريق !

وإن هى طرزت ، فلتطرز أثوابا

لطفلتها ، لحين تكبر .

فإذا لم يكن الملك ملكاً صالحاً ، ليكن ؛

ليس للنساء أن يبالين .

كلايلا : هذه الليلة الماضية لم تتم .

أنجوستياس : إنها لا تحيا ! أتتذكرين ؟ ... مساء أمس ...

(يسمع صوت جرس بهيج) .

إنهما ابتتا القاضى . الزمى الصمت .

(تخرج كلايلا فى عجلة . تتجه أنجوستياس صوب

الباب الذى إلى اليمين وتتادى)

ماريانتيا ، اخرجى ، ثمة من جاء ليراك .

المشهد الثاني

(تدخل ابنتنا قاضي تشانثييريا* ضاحكتين ،
ترتديان ثيابا على موضة تلك الحقبة ، طرحة ، وقرنفلة
حمراء في كل صدغ . لوثيا شقراء لوحتها الشمس ،
وأمبارو شديدة السمرة ، لها عينان عميقتان ،
وإيماءاتها سريعة) .

: (تتجه إليها لتقبلهما ، ونراعاها مفتوحتان) .

أنجوستياس جميلتا كامبيو

في هذا المنزل !

: (تقبل دونيا أنجوستياس وتقول لكلابيلا)

أمبارو قرنفلة* !

كيف حال زوجك ، القرنفل ؟

: (ذاهبة ، في ضيق ، كأنما تخشى مزيداً من

كلابيلا المزاح)

* محكمة تشانثييريا الملكية ، انتهى العمل في إنشائها في أواخر القرن السادس عشر ، في عهد
فيليب الثاني . في ١٨٢٤ ، فقدت اسمها ودأثرتها القضائية الواسعة لتصبح محكمة إقليمية .

* معنى اسم كلابيلا Clavea بالأسبانية قرنفلة

ذابل !

لوثيـا : (تنهرها) أمبارو !

(تقبل أنجوستياس)

أمـبارو : (تضحك) صبراً !

لكن قرنفلًا بلا شذى

يجتث من الإصيص !

لوثيـا : بونيا أنجوستياس ، ما قولك ؟

أنجوستياس : (تبسم) خفيفة الظل دائماً !

أمـبارو : فيما أختى تقرأ وتقرأ

روايات وروايات ،

أو تطرز على الخيش

وروداً وطيوراً وأحرفاً ،

أغنى أنا وأرقص « خاليو »

شريش ، بالصاجات ؛

والـ « بيتو » والـ « أوليه » والبوليو ،

ليت لى دائماً

رغبة فى الغناء يا سيدتى .

أنجوستياس : (تضحك) يالك من طفلة !

(تأخذ أمبارو ثمرة سفرجل وتقضمها)

لوثيـا : (غاضبة) الزمى الهدوء !

أمبارو : (تتحدث ومذاق الثمرة اللاذع بين أسنانها) ما

أطيب السفرجل !

(تتأبها رعدة لشدة الحمض ، وتطرف بعينها .)

أنجوستياس : (ويدأها على وجهها) لا أحتمل النظر !

لوثيـا : (بقليل من الحرج) ألا ينتابك خجل ؟

أمبارو : لكن ، ألا تخرج ماريانا ؟

سأطرق بابها .

(تذهب مسرعة وتتأدى .)

ماريانا ، اخرجى فى التوىا بنيتى !

لوثيـا : استمىحك العذر يا سيدتى !

أنجوستياس : (فى عنوبة) دعيها !

المشهد الثالث

(يفتح الباب ، وتظهر ماريانا ، ترتدى ثوباً ذا لون
خبازى فاتح ، وشعرها مصفف بـ « بوكليها » ومشط
وتضع وردة حمراء كبيرة خلف أذنها . لا تلبس سوى
خاتم من الماس فى يدها اليسرى . تبدو مهمومة ،
وتخلف انطباعاً ، كلما تقدم الحوار ، بقلق بالغ ، حين
تظهر ماريانا ، تهرع الفتاتان إلى لقائها .)

أمبارو : (تقبلها) كم تأخرت !

ماريانا : (حانية) طفلتاي !

لوثييا : (تقبلها) ماريانيتا !

أمبارو : اعطينى قبلة أخرى !

لوثييا : وأخرى لى !

ماريانا : أيتها الجميلاتان !

(إلى نونيا أنجوستياس)

أحضروا خطاباً ؟

أنجوستياس : كلا ! (تفرق فى الفكر)

أمبارو : (تلامسها) أنت ، دائماً
شابة جميلة .

ماريانا : (تبتسم في مرارة) لقد تخطيت الثلاثين !

أمبارو : لكذك تبدين في الخامسة عشرة !

(يجلسن على أريكة كبيرة ، الاختان إلى جانبي
ماريانا . نونيا أنجوستياس تلتقط كتابها وترتب
خزانة الأدراج .)

ماريانا : (دائماً بنبرة حزينة) أمبارو !

أرملة ولى ولدان !

لوثيـا : كيف حالهما ؟

ماريانا : جاءا تواء من المدرسة ،

لعلهما في الفناء .

أنجوستياس : سأنذهب وأرى .

: لا أريدهما أن يبللا نفسيهما في النافورة .

إلى اللقاء يا بناتى !

لوثيـا : (رقيقة دائماً) إلى اللقاء !

(نونيا أنجوستياس تذهب)

المشهد الرابع

ماريانا : أخوك فرنانو ، كيف حاله ؟

لوثيا : قال

إنه سيأتى فى طلبنا كى يحييك .

(تضحك)

كان يجرب سترة زرقاء .

فكل مالدك يروقه .

يريدنا أن ننحو نحوك فى الملبس

أمس ...

أمبارو : (التى يجب أن تتحدث دائماً ، تقاطعها)

أمس تحديداً قال لنا إن

(لوثيا تتجهم)

فى عينيك .. ماذا قال ؟

لوثيا : (غاضبة) أتركينى

أتحدث

(ترغب فى الحديث)

أَسْبَارُو : (مسرعة) أتذكر الآن ! قال إن في عينيك

تواتراً دائماً من الطيور .

(تأخذ رأسها من ذقنها وتنظر في عينيها)

اختلاجة رائعة ، كاختلاجة ماء معتم ،

مباغت أبدأ تحت الريحان ،

أو رجفة قمر فوق حوض أسماك

حيث تصطنع سمكة فضية نوماً أحمر .

لوثيانا : (تهز ماريانا) انظري ! هذا الأخير من اختراعها

(تضحك)

أَسْبَارُو : لوثيا ، هذا ما قاله !

ماريانا : كم تقرأ عيني

ببهجتكما مثل طفلتين صغيرتين !

ذات البهجة التي لا ريب يحس بها

عباد الشمس الكبير عند الفجر

حين يرى فوق ساق الليل

عباد شمس السماء الذهبى يتفتح .

(تمسك بيديهما)

لوثيـا : أراك شديدة الحزن !

أمـبارو : ما بك ؟

(تدخل كلايلا)

ماريانا : (تنهض بسرعة) كلايلا !

هل جاء ؟ تكلمى !

كـلايـلا : (حزينة) سيدتى ، لم يأت أحد !

(تعبر خشبة المسرح وتذهب)

لوثيـا : لو أنك تنتظرين زائراً ، سنذهب .

أمـبارو : ما عليك سوى أن تقولى ذلك

لنذهب .

ماريانا : (فى توتر) أيتها الطفلتان ، سأضطر إلى الغضب !

أمـبارو : لم تسألينى عن إقامتى فى رُندة .

ماريانا : حقاً لقد ذهبت ؛ أرجعت مسرورة ؟

أمبارو : جداً . طوال النهار رقص فى رقص .

(تتجههم فى الحال حين ترى ماريانا ، المتوترة ، تنتظر

إلى الأبواب وتشرود .)

لوثيـا : (متجهة) هيا بنا يا أمبارو .

ماريانا : (وقد انتابها قلق لشيء يجرى خارج خشبة

المسرح)

احكى لى ! لو علمت

كم أحتاج إلى ضحكك الطازجة .

(ماريانا لم تزل واقفة)

لوثيـا : أترغبين فى أن أحضر لك رواية ؟

أمبارو : أحضرى لها

حلبة ثيران رُندة النبيلة

(يضحكن . تنهض وتتجه إلى ماريانا)

اجلسى

(ماريانا تجلس وتقبلها .)

ماريانا : (مستسلمة) أذهبت إلى مصارعة الثيران ؟

لوثيـا : ذهبـت

أمـبارو : إلى أعظم مصارعة

شوهدت في رُندة العريقة .

ثيران خمسة بلون السبج .

بشريط أخضر وأسود .

وأنا كنت دائماً أتذكرك ؛

أفكر : ليـتها معى ،

صديقتى البائسة ،

عزيزتى ماريانيتا بينيدا !

صائحات أقبلت الصبايا

على عربات ملونة

وبمراوح مدورة

مزينة بالترتر .

وشباب رُندة

على خيل مطهمة

وقبعاتهم الرمادية العريضة

حتى الحاجبين .
والحلبة المحتشدة
(قبعات وأمشاط عالية)
تدور كفلك
من ضحكات بيضاء وسوداء .
وحين اجتاز كاييتانو العظيم
أرض الحلبة التي بلون التبن
يزيه الذى له لون التفاح
المطرز بالفضة والحريز ،
بارزاً رشيق القد ،
وسط فريق المصارعة ،
أمام الثيران الكمت
التي تربيها إسبانيا على أرضها ،
لاح المساء كأنه
أمنى أشد بسمرة .
لو أنهم . أوا

بأية ملاحه راح يحرك ساقيه !

ما كان أروع حذقه

بالعباءة والسيف *

فلا يفضله حتى « بدرو روميرو »

لو صارع النجوم !

خمسة ثيران قتل ؛ خمسة

بشريط أخضر وأسود .

فى طرف سيفه

خمس زهور تفتحت ،

وفى كل لحظة راح يداعب

خطوم الوحوش ،

مثل فراشة ذهبية عظيمة

حمراء الأجنحة .

* يقصد هنا إلى مرحلتين من مراحل المصارعة الثلاث : الأولى يستقبل فيها المصارع الأول (المايسترو ، المتناور) يستقبل الثور فى لحظة خروجه إلى الحلبة ويصارعه بالعباءة التى لها لون مزيج (أصفر من ناحية وينفسجى من الأخرى) : ثم دور غارسى الأعلام ويقوم به فى الغالب مساعدو المصارع الأول : ثم المرحلة الأخيرة والأهم ويقوم فيها المايسترو بمصارعة الثور حتى لحظة النهاية ، مستخدماً سيفاً قصيراً وخوذة حمراء بلون الدم .

كانت الحلبة شأن المساء

تهتز فى قوة وعنف ،

ووسط رائحة الدم

يفوح أريج الجبل .

وأنا كنت دائماً أتذكرك ؛

أفكر : ليتها معى ،

صديقتى البائسة ،

عزيزتى ماريانيتا بينيدا !

ماريانا : (منفعلة ، تنهض) سأحبك دائماً

على نحو ما تحبيننى !

لوثيلا : (تنهض) سنذهب ؛ لو أنك واصلت

الإنصات إلى هذه المصارعة

فلدينا مصارعة لوقت طويل .

أمبارو : أخبرينى : أنت الآن أكثر بهجة ؟

لأن هنا العنق ، أه ، أى عنق ! ، (تقبيل

عنقها)

لم يخلق للألم .

لوثيسا : (فى الشرفة) هناك سحب عند باراباندا

ستمطر ، على أنى أرجو الله ألا تمطر .

أمبارو : هذا الشتاء سيكثر المطر !

لن أتألق !

لوثيسا : غنجة !

أمبارو : إلى اللقاء يا ماريانا !

ماريانا : إلى اللقاء يا صغيرتى ! (يتبادلن القبيل)

أمبارو : ابتهجى !

ماريانا : الوقت متأخر قليلاً .

أتريدان أن ترافقكما كلايلا ؟

أمبارو : شكراً ! سنعود فى القريب .

لوثيسا : لا تهبطى ، كلا !

ماريانا : إلى الملتقى ! (تخرجان)

المشهد الخامس

(تعبر ماريانا خشبة المسرح مسرعة ، وتتنظر
الوقت فى واحدة من الساعات الضخمة المذهبة ، حيث
يحلم كل الشعر الرفيع للساعة والقرن . تطل من وراء
الزجاج وتشاهد ضوء المساء الأخير) .

ماريانا : لو كان المساء كله

طائراً عظيماً ،

لرميته بسهام قاسية

وطويت جناحيه !

ساعد ملورة ومعتمة

تثقل أجفانى .

ألم نجم قديم

يسكن حنجرتى .

قد آن للأنجم

أن تطل على شرفتى

وتغز الخطى وثيدة

فى الشارع المقفر .

بأى مشقة بالغه
يهجر الضوء غرناطة !
مشتبكاً بأشجار السرو
أو متوارياً تحت الماء .
وهذا الليل الذى لا يأتى ! (فى كرب)
أيها الليل الرحيب والمنشود ،
الذى تجرحنى الآن من بعيد
بسيوف ممتدة !

المشهد السادس

: (عند الباب) مساء الخير .
فرناندو : (فزعاً) ماذا ؟ (تنوب إلى رشدها)
ماريانا : فرناندو !
: أأفزعتك ؟
فرناندو : لم أكن أنتظرك (تبسم)
ماريانا : وصوتك باغتنى .

فرناندو : أرحلت أختاي ؟

ماريانا : فى التو . نسيئا

أنك ستأتى فى طلبهما

(فرناندو يلبس ثياباً أنيقة على نسق ذلك الوقت .

ينظر ويتحدث فى تأجج . يبلغ من العمر ثمانية عشر

عاماً)

فرناندو : أقاطعك ؟

ماريانا : اجلس (يجلسان)

فرناندو : (فى غنائية) كم يروقنى منزلك ! ...

وأريج السفرجل هذا . (يأخذ شهيقاً)

وياالروعة واجهته ،

المليئة برسوم

مراكب وأكاليل ! ...

ماريانا : (تقاطعه) أثمة الكثير من الناس فى الشوارع ؟

فرناندو : (يبتسم) لماذا تسألين ؟

ماريانا : (فى حرج) لا لشيء .

- فرناندو : أجل ثمة الكثير منهم .
- ماريانا : (نافذة الصبر) تقول ؟ ...
- فرناندو : مروراً بباب الرملة
- ماريانا : رأيت جماعتين أو ثلاثاً
- فرناندو : من الناس المتلفين فى عبااءاتهم
- يحتملون الريح
- فى ثبات ويتحدثون
- عن الحادثة .
- ماريانا : (متلهفة) أية حادثة ؟
- فرناندو : أ تخمينين بم تتعلق ؟
- ماريانا : بأمور ماسونية ؟
- فرناندو : زعيم يدعى !
- ماريانا : (فيما يشبه القلق) لا أتذكر ... ، ليبرالى ،
- سجين خطر ،
- فر من سجن المحكمة .

فرناندو : (بعد أن لاحظ ماريانا) ما بك ؟

ماريانا : أدعو الله من أجله . أقيـل

أنهم يبحثون عنه ؟

فرناندو : قبل أن أتى إلى هنا ،

حشد من القوات

كان متوجهاً

إلى نهر شنيل وجسوره

علم واجدوه ،

ومن اليسير أن يلقوا القبض عليه

فى طريق البوشرات

ما أتعسه من أمر !

ماريانا : (فى غم) يا ألهى !

فرناندو : فر السجين كشبح ،

لكن بدروسا

سيحضره من عنقه .

فبدروسا يعرف

أين يكون العرق متسعاً .

قل لى إنك تعرفت إليه .

(يتلاشى الضوء تدريجياً من المشهد)

ماريانا : منذ أن جاء غرناطة .

فرناندو : (مبتسماً) صديق شجاع ، ياماريانيتا !

ماريانا : تعرفت إليه لسوء طالعى .

هو رقيق معى ،

وحتى إنه يحضر إلى منزلى ،

ولا حيلة لى

من يمنعه من الدخول ؟

فرناندو : ما أعظمه من عمدة للجريمة !

ماريانا : لا أحتمل النظر إلى وجهه !

فرناندو : أهو يخيفك إلى هذا الحد ؟ (يبتسم)

ماريانا : كثيراً !

مساء أمس كنت أهبط
بشارع السقاطين ، كنت عائدة
من كنيسة القديسة أنا ،
فى دعة ؛
وبغته رأيت بدروسا .
كان يقترب ، يتبعه قاضيان ،
وسط جمع من الغجريات .
بأى سمت ، وفى أى صمت !
وهو لاحظ أننى كنت أرتجف !
(المسرح فى خفوت ضوئى عذب)
فرناندو : كم كان يعى الملك ما يفعله
حين أرسله إلى هنا ، إلى غرناطة !
أحضر معه فى حقيبته
مائة كفن
صنعت ، كما يشيعون ،

بأيدي مقدسة .

ماريانا : (تنهض) هبط الليل . كلابيلا ! الأنوار !

فرناندو : والآن الأنهار في إسبانيا ،

بدل أن تكون أنهاراً ، هي

أصفاد طويلة من ماء .

ماريانا : لهذا ينبغي أن نظل

مرفوعي الهامة .

كلابيلا : (تدخل معها شمعدانان) سيدتي ، الأنوار !

ماريانا : (شديدة الشحوب ومتوقفة) دعيها !

(طرق شديد على الباب)

كلابيلا : ثمة من يطرق الباب ! (تضع الشمعدان)

فرناندو : (وهو يرى ماريانا مضطربة) ماريانا !

لماذا ترتجفين على هذا النحو ؟

ماريانا : (إلى كلابيلا ، تصرخ بصوت منخفض)

افتحى بسرعة بالله عليك ؛ هيا !
(تخرج كلابلا عدواً ، وتبقى ماريانا فى حالة ترقب
قرب الباب ، وفرناندو واقفاً) .

المشهد السابع

فرناندو : شد ما يؤلمنى أن أزعجك ...
ماريانا ، ماذا ألم بك ؟
ماريانا : (فى قلق ، على نحو بالغ الرقة)
عند الانتظار

تطول الثوانى على نحو
لا يحتمل .

فرناندو : (فى قلق) أأهبط أنا ؟
ماريانا : جواد
يبتعد فى الشارع . أسمعته ؟

فرناندو : صوب الغوطة يركض .
(صمت)

ماريانا : لقد أغلقت

الخصاص كلابيلا .

فرناندو : من يكون ؟

: (مضطربة ، وتكبت كريباً دفيناً)

ماريانا لا أعرف ! (على حدة)

ولا مجرد تخيل الأمر !

كلابيل : (تدخل) خطاب يا سيدتي . (ماريانا تأخذ الخطاب

بنهم)

فرناندو : (على حدة) ما الخطب ؟

كلابيل : سلمه لى فارس . كان ملثماً

حتى عينيه . انتابنى رعب .

أطلق العنان ورحل طائراً

إلى عتمة الباحة .

فرناندو : نسمعه من هنا

ماريانا : أحادثه ؟

كلابيل : لا قلت له شيئاً ولا قال لى .

فأخيراً فى هذه الأمور التزام الصمت .

(فرناندو يمسح على قبعته بكفه ، ويظهر القلق على
بسمته)

ماريانا : (ومعها الخطاب) لا أود أن أفضه ! آه ، من بوسعه

فى هذا الواقع أن يحلم !

إلهى ، لا تحرمنى خير ما أحب !

(تشق الخطاب وتقرأ)

فرناندو : يالحيرتى . فذلك شديد الغرابة !

أنت تدركين ما بها . ما خطبها ؟

كلابيل : قلت لك لا أدرى .

فرناندو : (فى رصانة) لكن ...

كلابيل : (تكمل جملة لها) يا لسيدتى ماريانا البائسة !

ماريانا : (مضطربة) كلابيل ، قربى الشمعدان !

(كلابيل تقربه منها بسرعة ، وفرناندو يضع عباءته

فوق كتفيه فى بطة)

كلابيل : (إلى ماريانا) حفظنا الله سيدتى المحبوبة !

فرناندو : (متحرجاً وقلقاً) إئذنى لى ...

ماريانا : (تغالب كريها) أأنت ذاهب ؟

فرناندو : إبنى راحل ،

أذهب إلى مقهى « النجمة » .

ماريانا : (رقيقة ومستعطفة) أستمحك العذر ،

فهذا القلق ...

فرناندو : (مترفعاً) أحتاجين شيئاً ؟

ماريانا : (تكتب تأثرها) أشكرك ... أمور عائلية جداً ،

ولابد أن أحلها بنفسى .

فرناندو : كم وددت أن أراك سعيدة . سأقول

لأختى أن تأتيا لوهلة ،

ليت بوسعى إسداك عونى .

إلى اللقاء ، استريحى (يشد على يدها)

ماريانا : إلى اللقاء

فرناندو : (إلى كلايلا) مساء الخير .

كلايلا : تفضل ، سأصحبك إلى الخارج (يذهبان)

ماريانا : (لحظة خروج فرناندو ، تطلق العنان لأحاسيسها)

بدر ، أيها الحبيب ! لكن من له أن يذهب ؟

غدت تحوط دارى الأيام المرة .

وهذا القلب ، إلى أين يحملنى ،

فحتى ولداى أنساها ؟

لا بد من الإسراع ولا أحد لدى !

أنا نفسى أعجب لشدة حبى له !

ماذا لو قلت له ... والتمس لى العذر ؟

إلهى ، بحق جرح ضلوعك ! (تبكى)

بحق قرنفل دمك الذكى ،

عكر الليل على الجنود . (مهتاجة وهى تنظر

الساعة)

لا بد ! على أن أقدم على أى شىء ! (تخرج مسرعة

صوب الباب)

فرناندو !

كلابيل : (تدخل) فى الشارع يا سيدتى !

ماريانا : (تطل فى عجلة من النافذة) فرناندو

كلابيل : (تشبك يديها) آه ، دونيا ماريانا ، ما أتعسك !

منذ وضعت يديك الجميلتين

فى راية الليبراليين تلك ،

وألوان زهرة الرمان

اختلفت من محياك .

ماريانا : (تغالب انفعالها) افتحى ،

ولا تذكرينى بما أطرزه .

كلابيل : (تخرج) الله أعلم ؛ فالزمن يتبدل بمرور الزمن .

الله أعلم ؛ الصبر ! (تخرج)

ماريانا : ومع ذلك

ينبغى أن أكون شديدة الهدوء ، شديدة الهدوء .

وإن شعرت بأثني أرفل في الارتعاد والبكاء .

المشهد الثامن

(يظهر فرناندو بالباب ، يرتدى قفازاً وممسكاً بيديه

القبعة العالية ذات الشرائط . تتبعه كلايلا) .

فرناندو : (يدخل ، منفعلاً) ماذا تريدان ؟

ماريانا : (في ثبات) التحدث إليك . (إلى كلايلا)

يمكنك أن تذهبي .

كلايلا : (تذهب في استسلام) طابت ليلتكما !

(تخرج متحيرة وتنظر في حنان وأسى إلى سيدتها .

صمت) .

فرناندو : أخبريني ، هيا .

ماريانا : أنت صديقي ؟

فرناندو : لم تسألين يا ماريانا ؟

(ماريانا تجلس على كرسي ، تظهر أحد جانبي

وجهها فقط للجمهور ؛ ويجلس فرناندو إلى جانبها

وجهه للجمهور تقريباً بحيث يؤلفان صورة تقليدية

فى تلك الحقبة .)

تعلمين أنى كنت كذلك دائماً !

ماريانا : من القلب ؟

فرناندو : أقول الصدق !

ماريانا : ليته كان كذلك !

فرناندو : تتحدثين إلى فارس . (يرفع يده إلى صدرته

البيضاء)

ماريانا : (موقنة) أعلم ذلك .

فرناندو : ماذا تطلبين منى ؟

ماريانا : لعلى أفرط فى طلبى ،

لذا لا أجرؤ .

فرناندو : لا تحزننى هذا القلب الجديد

فأنا أخدمك مسروراً .

ماريانا : (ترتعد) فرناندو ، وإن كان ... ؟

فرناندو : (فى لهفة) ماذا ؟

ماريانا : أمراً خطيراً ؟

فرناندو : (فى عزم) سأفعل .

بكل إخلاصى .

وهذا ، فى رأى ...

: لا يجب أن أطلب منك شيئاً !

ماريانا فكما يقولون فى غرناطة ،

أنا امرأة مجنونة !

فرناندو : (فى حنان) ماريانيتا !

ماريانا : لا أستطيع !

فرناندو : لم دعوتنى ؟ أخبرينى !

ماريانا : (فى احتياج) لأننى جد خائفة

من أن أموت وحيدة هنا .

فرناندو : تموتين ؟

ماريانا : أحتاج ،

كى أواصل التنفس ،

أن تساعدنى ، أيها الشاب .

فرناندو : عيناى تنظرانك ،

لا ينبغي أن تترددى .

مساريانا : لكن حياتى فى الخارج ،

فى الهواء فى البحر ،

ضد إرادتى أنا .

فرناندو : كم سيسعد دى

لو وسعه أن يخفف أملك !

(ترفع فى رباطة جأش يديها إلى صدرها لتخرج

الخطاب ، وفرناندو فى حالة ترقب وانفعال) .

مساريانا : أنا واثقة من قلبك ! (تخرج الخطاب ، تتردد)

ما أشد صمت غرناطة !

ثمة نظرة ثابتة تترصدنى ،

وراء الشرفة .

فرناندو : (فى حيرة) ماذا تقولين ؟

مساريانا : ترمقنى ... (تنهض)

عنقى ، الجميل ،

وكل جلدى مشدودان .

أَتَتَمَكَّن مِنِّي يَا بَدْرُوسَا ؟ (فِى حَزْم)

خُذْ هَذَا الْخُطَابَ يَا فَرْنَانَدُو .

اقْرَأْ فِى أَنَاةٍ وَفَهْمٍ .

أَنْقِذْنِي ! فَأَنَا غَيْرُ وَاثِقَةٍ

بِقُدْرَتِي عَلَى الْحَيَاةِ .

(فَرْنَانَدُو يَأْخُذُ الْخُطَابَ وَيَفْتَحُهُ . فِى هَذِهِ اللَّحْظَةِ

تَدُقُّ السَّاعَةُ الثَّامِنَةَ بِيَطْمٍ أَضْوَاءُ الشَّمْعِ بِلَوْنِ

الْيَاقُوتِ الْأَصْفَرِ وَالْجَمَشْتِ تَهْزُ الْحَجَرَةُ عَلَى نَحْوِ

غَنَائِي .

مَارِيَانَا تَذَرُ خَشَبَةَ الْمَسْرَحِ وَتَنْظُرُ فِى قَلْقٍ إِلَى

الشَّابِّ الَّذِى يَقْرَأُ بَدَايَةَ الْخُطَابِ وَتُظْهِرُ عَلَيْهِ إِيمَاءَةً

يَأْسٍ أُنِيقَةٍ وَمَكْبُوتَةٍ) .

فَرْنَانَدُو : (يَقْرَأُ الْخُطَابَ مَبْهُوتًا وَيَنْظُرُ إِلَى مَارِيَانَا مَنَعُورًا

وَحَزِينًا)

« مَعْبُودَتِي مَارِيَانَا » .

مَارِيَانَا : لَا تَقْطَعِ الْقِرَاءَةَ .

فَالْقَلْبُ مُحْتَاجٌ إِلَى مَا يَهْفُو إِلَيْهِ

فى الكتآبة .

فرناندو : (يقرأ يائساً لكن بلا افتعال)

« معبودتى ما ريانا : أشكر لك ثوب الراهب
الكابوتشينى الذى أوصلته إلى ببراعة ، لقد فررت
من برج سائتا كتالينا وسط رجال دين آخرين كانوا
يخرجون بعد زيارة سجين محكوم عليه بالإعدام .
الليلة ، أنا فى حاجة ماسة إلى الرحيل إلى كاديار ،
فى زى مهرب ، حيث أمل أن تصلنى أنباء من
الأصدقاء . أحتاج قبل التاسعة إلى جواز المرور
الذى فى حوزتك وإلى شخص يكون محل ثقتك
ينتظرنى ومعه جواد ، فيما وراء سد نهر شنيل ، كى
يدخلنى الجبل ، أعلى النهر . بدروسا سيضيق
الحصار كعهده ، فإن لم أرحل فى نفس هذه الليلة
فأنا هالك لا محالة . وداعاً ياماريانا ، تقبلى عناق
ودوح من يحبك .

« بدرو دى سوترمايور »

فرناندو : (فى وله شديد) ماريانا !

ماريانا : (فى سرعة ، ترفع يدها إلى عينيها)

أتخيل ما تفكر فيه !

لكن ، صه يا فرناندو .

فرناندو : كيف سددت الطريق .

أمام ما كنت أحلم به ! (ماريانا تحتج بإيماءة) .

لا ذنب لك ، كلا ؛

والآن على أن أمد يد العون

لرجل أخذت أمقته ؛

ومن يحبك هو أنا !!

من أحبك طفلاً ،

مفعماً بعشق مر ،

قبل أن يسلب دون بدرو

قلبك بزمان طويل .

لكن كيف لى أن أتركك

فى هذا الكرب البائس الآن !

والحيد بشعورى

ما أشقه على نفسى !

ماريانا : (فى عزة) إذن ، سأذهب وحدى ! (ثم فى مهانة)
يا إلهى ،

لا بد أن أن يكون فى التو !

فرناندو : سأذهب أنا بحثاً عن معشوقك ،
عند ضفة النهر .

ماريانا : (فى اعتزاز ، تصحح سخرية وحزن فرناندو بقوله :
معشوق)

أن أقول لك كيف أحبه
لا يخلجنى .

فحبه يخرنى فى داخلى
ويشرق كاملاً .

هو يحب الحرية ،

وأنا أحبها أشد منه .

ما يقوله هى حقيقتى المرة ،

التي لها عندى مذاق العسل .

لا يعنيني أن يعتكر

النهار والليل ،

فبالضوء المنبجس عنهما

سيحيا روحه .

لهذا الحب الحق

الذى يعض نفسى البسيطة ،

تعترينى صفرة

كزهرة الزعتر .

فرناندو : (بحدّة) ماريانا ، إنى أدع شكواك

تحلق . لكن ، ألم تسمعى

أن قلبى مكلوم

وتؤلنى الجراح ؛

: (فى لهجة شعبية)

حسنٌ ، لو أن لصدرى

شرقات من الزجاج ،

لأطللت ورأيتـه

بيكى قطرات من دم .

فرناندو : كفى ! اعطينى الوثيقة ! (ماريانا تسرع نحو
خزانة أدراج)

والجواد ؟

ماريانا : (تخرج الأوراق) فى الحديقة .

لو أنك ذاهب ، فى النهاية ،

ينبغى ألا نضيع لحظة .

فرناندو : (شاحباً ومتوتراً) فى التو (ماريانا تسلمه
الأوراق)

وهنا يوجد ؟

ماريانا : (مكروية) كل شيء .

فرناندو : (يخبىء الوثيقة فى سترته) حسن !

ماريانا : استميتك العذري يا صديقى !

ليكن الله معك

فرناندو : (طبيعياً وكريماً ولطيفاً ، يرتدى عباءته على مهل)

أرجو ذلك .

فالىلة معومة .

لا قمر هنالؑ ، وإن وءء

فإن أشجار الءور بالصفة

تلقى بظل كئيف .

وءاعاً . وءففى هءا الءمع .

لكن ، اعلمى

أن لا أءء سىءبك مءلما

أءبك أنا .

وأنى أقوم بهذه المهمة

كى لا أراك تتعءبن ،

مءالفاً إءساس

قلبى العمىق .

هـارىانا : ءءنب الءرس والءنوء

فرنانءو : (ىنظر إليها بءنان)

فى ذلؑ المءان لىس هنالؑ أءء .

فى وسعى السىربلاءوف . (فى سءورىة مريرة)

ماذا تريدین أيضاً ؟

ماريانا : (منزعة ، تتمتم)

كن حریصاً

فرناندو : (بالباب ، يضع قبعة)

إن نفسی أسيرة ؛

اطرحی عنك أى خوف .

فأنا أسیر العشق

وسأظل مادمتم قيد الحياة .

ماريانا : وداعاً (تأخذ الشمعدان)

فرناندو : لاتخرجی یا ماریانا .

الوقت يمر ، وأود

أن أعبّر الجسر أولاً

قبل نون بدرو . طابت ليلتك

(يخرجان)

المشهد التاسع

(المسرح يظل خالياً للحظة . ما إن تخرج ماريانا
مع فرناندو من أحد الأبواب ، تظهر بونيا
أنجوستياس من الباب المواجه ومعهما شمعدان . عبق
السفرجل الرقيق والخريفى يغزو الجو) .

أنجوستياس : طفلتى ، أين أنت ، طفلتى .

أه . يا إلهى ، ما هذا ؟

أين كنت ؟

ماريانا : (تدخل حاملة شمعدان) كنت أرافق

فرناندو إلى الخارج .

أنجوستياس : أية لعبة

اخترعها الطفلان !

وبخيهما .

ماريانا : (تترك الشمعدان) ماذا فعلا ؟

أنجوستياس : ماريانا ، الراية

التي تطرزونها سرّاً

سارينا : (تقاطعها في درامية) ماذا تقولين ؟

أنجوستياس : ... وجداها

في الصوان القديم

واستقيا عليها

يصطنعان أنهما قتيلان ،

تيلين ، تلان ؛ جدتي

قولي لقسنا

أن يحضر رايات صغيرة ،

وزهور الزعتر ؛

وأن يحضروا حمراء

قرنفلات البستان .

ها قد حضر الأساقفة ،

كانا يقولان « تذكروا الموت » * ،

ثم يغمضان أعينهما ،

* باللاتينية في الأصل .

بسمت شديد الجدية .
قد تكون أموراً صبيانية ؛
حسن . لكننى يداخلنى
شعور مقبض ،
وتصيينى بالهلع
الراية تلك .

ماريانا : (مذعورة) لكن كيف رأياها ؟

كانت مخبأة بعناية !

أزجوستياس : ماريانا ، هذا زمن نحس

على هذه الدار العريقة ،

التي أراها تنهار ،

بلا رجل ، بلا أحد ،

وسط الصمت !

ثم ، أنت ...

ماريانا : (فى حيرة ، وعلى نحو مأسوى)

بحق الله !

أنجوستياس : ماريانا ، وأنت ماذا فعلت ؟

حاصرت هذه الحوائط

بحراس خفيين .

ماريانا : قلبي مجنون

ولا أدري ماذا أريد .

أنجوستياس : إنسيه يا ماريانا !

ماريانا : (في تأجج) أنساه ، لا أستطيع !

(تسمع ضحكات أطفال)

أنجوستياس : (تومئ لماريانا كي تصمت) الطفلان .

ماريانا : هيا ، سريعاً

كيف وصلا إلى هذا ؟

أنجوستياس : هكذا تجري الأمور .

ماريانا ، فكري فيهما !

(تأخذ شمعدان)

سارينا : أجل ، أجل ؛ الحق معك .
الحق معك ، لا أفكر !

(تخرجان)

اللوحة الثانية

القاعة الرئيسية فى منزل ماريانا . درجات لونية رمادية وبيضاء
وعاجية ، كصورة قديمة . منصة ، بيضاء . فى الخلفية ، باب له ستارة
رمادية ، وبابان جانبيان . ثمة « كونسول » عليها صندوق زجاجى
وأغصان كبيرة من الزهور الحريرية البنفسجية والخضراء . فى وسط
الحجرة ، بيانو قديم وشمعدانات زجاجية . الوقت ليل .

المشهد الأول

(كلايلا ومفلا ماريانا . يرتديان ملابس على وتيرة
تلك الحقبة اللذيذة . كلايلا جالسة ، وإلى جانبها
الطفلان على كرسيين بلا مسند . المكان نظيف
ومتواضع وإن احتفظ ببعض الأثاث الفخم من إرث
ماريانا)

كلايلا : لن أواصل الحكى . (تنهض)
الطفل : (يشدها من رداثها) احكى لنا شيئاً آخر .
كلايلا : ستمزق ثوبى !
الطفلة : (تشدها من ثوبها) إنه لثوب ردىء جداً .
كلايلا : (تلومها) اشترته أمك .

- الطفل : (يضحك ويشدها من ثوبها كي تجلس) كلابيلا !
- كلابيلا : (تجلس رغماً عنها وتضحك أيضاً) أيها الطفلان !
- الطفلة : حكاية الأمير الغجرى تلك .
- كلابيلا : الغجر لم يكونوا قط أمراء .
- الطفلة : وله ؟
- الطفل : لا أريدهم إلى جانبي ،
- فأمهاتهم هن الساحرات الشريرات .
- الطفلة : (بحدة) أفاك !
- كلابيلا : (تعنفها) لكن ، أيتها الطفلة !
- الطفلة : أمس رأيت اثنين منهم
- يصليان ليسوع « بويرتا ريال » .
- ومعها مقص بهذا الحجم
- وأربعة حمير صغيرة كثة الشعر تنظر ..
- وبأية عيون ... وتحرك أذناها

مرة أخرى . من لى بأحدها !

الطفل : (فى حكمة) ربما سرقوها .

كلابيل : لا هذا ولا ذاك . من يعلم ؟ (يخرج كل طفل لسانه
للآخر ساخرأ)

اصمتا !

الطفل : وقصة المطرّز ؟

الطفلة : أه ، دوق لا شانة ! ماذا تقول الحكاية ؟

الطفل : حقل الزيتون ، زيتونة .. ، تطرز . (كأنما يتذكر)

كلابيل : سأقصها عليكما ؛ لكن حين تنتهى ،

تنامان فى الحال .

الطفل : حسن .

الطفلة : فهمنا !

كلابيل : (ترسم فى أناة علامة الصليب ويحاكيها الطفلان

ناظرين إليها)

تبارك إلى الأبد

الثالوث المقدس ،

ليحفظ الإنسان في الجبل

والبحار في البحر ،

على الحافة الخضراء ، الخضراء

لحقل الزيتون ، هناك

الطفلة : (تسد بيدها فم كلايلا وتكمل هي)

طفلة تطرز .

أماه ! ماذا تطرز ؟

كلايلا : (السعيدة لأن الطفلة تعرف الحكاية)

الإبر من الفضة ،

والنول من الزجاج ،

كانت تطرز راية ،

تغنى وتغنى ،

لكن من شجر الزيتون ، الزيتون ،

أماه ، من يصدق !

الطفل : (مكملاً) جاء أندلسي

شباب ووسيم .

(تظهر من باب الخلفية ماريانا ، ترتدى ثوباً أصفر

فاتحاً : صفرة كتاب قديم ، وتسمع الأغنية الشعبية

تمثل بايماءات ما يستدعى فيها فكرة الراية والموت) .

كلابيل : أيتها الصبية ، المطرزة ،

حياتي لا تطرزي !

فدوق لاشانة

ينام وينام .

والصبية تجيبه :

« لا تقول الحق :

فدوق لا شانة أمرني

أن أطرز هذه الراية الحمراء

لأنه ذاهب إلى الحرب » .

الطفل : بشوارع قرطبة

يحملونه إلى مثواه

مرتدياً مسوح راهب كاملة

فى تابوت من المرجان .

الطفلة : (كأنها تحلم)

الحبق والقرنفل

فوق النعش موضوعان ،

وخضير قديم

يغنى ... « بيو .. با »

كلابيل : أه يا بوق لاشانة ،

لن أراك بعد الآن !

والراية التى أطرزها

ماعاد لها نفع .

فى حقل الزيتون سألبث

لأرى كيف يحرك الهواء

لدى عبوره الأوراق .

الطفلس : وداعاً ، أيتها الصبية الجميلة ،

الهيفاء ، الرشيقة ،

أنا ذاهب إلى أشبيلية

فأنا هناك قبطان .

كلابيل : على الحافة الخضراء ، الخضراء ،

لحقل الزيتون ، هناك

صبية سمراء

تبكى وتنتحب .

(يومىء الطفلان إيماءة رضا ، بعد أن تابعا الأغنية

الشعبية باهتمام شديد)

المشهد الثانى

(نفس الشخص وماريانا)

ماريانا : (تتقدم) حانت ساعة النوم .

كلابيل : (تقف وتُنهض الطفلين) أسمعتما ؟

الطفلة : (تقبل ماريانا) ماما ، اصعدى معنا إلى الفراش .

ماريانا : لا أستطيع يا بنيتى ؛

يجب أن أخطط لك عباة .

الطفل : ولى ؟

كلابيل : (تضحك) أجل ، بالطبع !

ماريانا : ولك قبعة

بشريط أخضر وشريطين فضيين . (تقبله)

كلايىلا : إلى النوم يا طفلى !
الطفل : (يلتفت) أريدها كالرجال :
عالية وكبيرة ، أتعلمين ؟
ماريانا : لك ما تريد ، يا حبيبى !
الطفلة : ثم تعالى فيما بعد ؛
فأود أن أحس بك ، فهذه الليلة
لا يرى شىء والريح عاتية .
ماريانا : (بصوت خفيض إلى كلايىلا) حالما تنتهين تهبطين
إلى الباب .
كلايىلا : فى التو ، فالطفلان يغالبهما النعاس .
ماريانا : صلوا بلا ضحك !
كلايىلا : أجل يا سيدتى !
ماريانا : (بالباب) صلاة للعدراء
وصلاتين ليسوع الألم الأعظم المقدس ،
ليحفظانا .
الطفلة : سنصلى
صلاة القديس يوحنا
من أجل السائرين والبحارة (يدخلان . صمت)

المشهد الثالث

ماريانا : (بالباب)

أرقدا فى هدوء ، أى طفلى ،
فيما أنا ، فى ضياع وجنون ،
أحس باحتراق وردة صدرى الدامية هذه
فى لهيبها المتأجج .
واحلما بالعيد وغطوة قرطاجنة
المشرقة والندية ،
وبالطائر الملون المتأرجح
على أفنان شجرة الليمون المرة .
وأنا أحلق فى حلمى
كما يمضى ، ولا يدرى إلى أين يمضى ،
رهيف الطلع مع الريح .

المشهد الرابع

أنجوستياس (تظهر دونيا أنجوسيتاس بالباب . وعلى حدة)
: بيت تليد ونبيل ، أى جنون ! (إلى ماريانا)
لديك زائر .

ماريانا : (فى قلق) من ؟ (تهرع إلى الباب)

أنجوستياس : اهدئي يابنيتي ! ليس زوجك !

ماريانا : (توافقها على نحو قاطع) الحق معك دائماً .

لكن أى حيلة لى !

المشهد الخامس

(ماريانا تهرع إلى الباب فى لحظة دخول نون بدرو

منه . يبلغ نون بدرو من العمر ستة وثلاثين عاماً . هو

رجل رقيق وهادئ وقوى البنية . يلبس فى اعتدال

ويتحدث بطريقة عذبة . ماريانا تمد له ذراعها وتشد

على يده . نونيا أنجوستياس تتخذ سمناً حزيناً

ومتحفظاً . صمت) .

بدرو : (فى تأجج) شكراً يا ماريانا ، شكراً .

ماريانا : (نون أن تنبس تقریباً) قمت بواجبى .

(أثناء هذا المشهد ستظهر ماريانا أمارات عاطفة

جياشة ودفينة)

بدرو : (يتحدث إلى نونيا أنجوستياس) شكراً جزيلاً يا

سيتتى .

أنجوستياس : (حزينة) وله ؟ مساء الخير .

(إلى ماريانا) أنا ذاهبة إلى الطفلين .

(على حدة) أه ، مسكينة ماريانيتا !

(تخرج . وحين تخرج أنجوستياس ، بدرو ، فى تأجج ،

يحوط ماريانا من خصرها)

بـدرو : (فى جيشان عاطفى)

من يسعه أن يرد لك ما فعلته من أجلى !

كل دمي جديد لأنك وهبتني

وخاطرت بقلبك الرقيق .

أه ، كم كنت خائفاً عليه يا ماريانا !

ماريانا : (بالقرب منه وقد هجرتها رصانتها)

فيم يفيد دمي ، بدرو ، لو أنك مت ؟

الطائر بلا هواء ، أيطير ؟ إذن .. (بصوت خفيض)

لن أستطيع أبداً أن أخبركم كم أحبك ؛

فإلى جانبك أنسى كل الكلمات .

بـدرو : (بصوت عذب)

كم تواجهين من خطر بلا أقل خور !

ما أشد وحدتك وحولك الخبثاء !

كيف لى أخلصك ممن يتربصون بك

بحزنى وحياتى يا ماريانا

ماريانا : (تميل برأسها على كتفه وكأنها تحلم)

هكذا ! دع أنفاسك على جبهتى .

اطرح عنى هذا الكرب الذى ينتابنى وهذا المذاق المر ؛
كرب السير على غير هدى ،
ومذاق الحب هذا الذى يحرق فمى .
(صمت . تنفصل عن السيد فى سرعة وتمسك
بمرفقيه)

يدرو ! ألا يتعقبونك ؟ أراوك تدخل ؟

بـدرو : لم يرنى أحد ! (يجلس)
تقطنين شارعاً وادعاً ، والليل
يلوح شيطانياً .

ماريانا : ما أشد خوفى .

بـدرو : (يأخذ بيدها) تعالى !

ماريانا : (تجلس) ما أشد خوفى من أن يفطنوا إلى الأمر ،
فتقتلك الغوغاء الملكية .

بـدرو : (بحب) ماريانا ، لا تراعى ! امرأتى ، حياتى !

فى أشد سرية تتأمر . لا تراعى !

والراية التى تطرزونها ستخفق فى الطرق

وسط أفئدة الشعب وصيحاته .

من أجلك ستطأ الحرية التى ينشدها الجميع

أرضاً راسخة بقدمين عريضتين فضيتين .

لكن لو أن ذلك لم يحدث ؛ لو أن بدروسا ..

ماريانا : (فى زعر) لا تكمل !

بـدرو : ... باغت مجموعتنا وكتب علينا الموت ..

ماريانا : صه !

بـدرو : ماريانا ، أى شأن للإنسان بلا حرية ؛

بلا ذلك النور المتناغم والدائم الذى نحس به فى
داخلنا ؟

كيف لى أن أحب إن لم أكن حراً ؟ أخبرينى !
كيف لى أن أهبك هذا القلب المتين لو لم يكن قلبى ؟
لا تخافى ، لقد أفلتُ من بدروسا فى الريف ،
وهكذا سأواصل حتى النصر إلى جانبك ،
أنت التى تقدمين لى حبك ودارك وأناملك .
(يقبل أناملها)

ماريانا : وشيئاً لا أدرى كيف أقوله ، لكنه موجود !

ياالسعادتى معك ! لكننى وإن ابتهجت

يعترينى قلق عظيم ويثير حنقى ؛

أتخيل رجالاً خلف الستائر ،

أن كلماتى تسمع شقيقة فى الطريق .

بـدرو : (فى مرارة) أجل ، أى قلق مميت ، أية مرارة !

أى تساؤل مقيم للدقيقة البعيدة !
أى، خريف لا ينتهى كابدته فى ذلك الجبل !
أنت لا تتخيلينه !

هاريانا : أخبرنى : أتجشمت خطراً كبيراً ؟

بـدرو : كدت أسقط فى يد العدالة ؛

لكن جواز المرور أنقذنى والجواد الذى أرسلته مع
شباب غريب ، لم يقل شيئاً .

هاريانا : (فى قلق وبلا رغبة فى التذكر)

وأخبرنى . (صمت)

بـدرو : لم ترتعدين ؟

هاريانا : (فى توتر) أكمل .. ثم ؟

بـدرو : ثم

همت على وجهى فى « البوشرات » .

علمت بأن فى جبل طارق

تنتشر الحمى الصفراء ؛

كان الدخول مستحيلاً

فانتظرت مختبئاً جيداً

والفرصة ها قد سنحت !

سأنتصر بمساندتك ، يا ماريانا القلب !
الحرية .. وإن دقت بيدي المضرجة كل
الأبواب *

مـاريـنا : (مبهجة) حريتى أن أحظى بك إلى جانبي '
فى النظر إلى عينيك فيما ترنو إلى .
حين تكون إلى جانبي أنسى ما بى
وأحب كل الناس ،
حتى الملك وبدروسا .
أحب الصالح والشرير . بدرو ! حين يحب
المرء يجاوز الزمن ،

ولا ليل أو نهار هنالك ، بل أنت وأنا !
بـدرو : (يعانقها) ماريانا !

مثل نهرين أبيضين من حياء وصمت
هكذا تعانق ذراعيك جسدى المهزوم .

مـاريـنا : (تعانق رأسه)
الآن قد أفقدك ، أفقد حياتى ،
كمن تعشق بحاراً مجنوناً
يبحر دائماً على ظهر زورق قديم ،
أرقب بحراً معتماً ، بلا قرار أو موج ،
أنتظر أن يأتوا بك غريقاً .

* ما أشبه هذا البيت بيت أحمد شوفى الشهير وللحرية الحمراء باب / بكل يد مضرجة ندق .
(المترجم) .

بدرود : لا وقت للأوهام .

بل لفتح الصدر لحقيقة إسبانيا الجميلة
القريبة ،

إسبانيا تغطيها السنابل والقطعان ،

ويأكل الناس فيها خبزهم فى بهجة

وسط خلودنا هذا

وهذه العاطفة الحادة من الأفق والسكون ،

إسبانيا تدفن قلبها القديم وتطوّه ،

قلبها الجريح ، قلب شه الجزيرة الجوال ،

وينبغى إنقاذها سريعاً بالأيدي والنواجز .

**ماريانا : (فى حمية) وأنا أول من يطالب بذلك فى
لهفة .**

أريد شرفاتى مفتوحة للشمس ،

كى تكتسى الأرض زهوراً صفراء

وأن أحبك ، موقنة من حبك ،

نون أن يترصد لى أحد مثلما فى هذه

اللحظة الحاسمة . (فى احتياج)

لكنى الآن متأهبة ! (تنهض)

بدرود : (فى حماس ، ينهض)

هكذا تروقنى رؤيتك ، يا ماريانيتا الجميلة !

الآن لن يتأخر الأصدقاء كثيراً .

وينبض هذا المحيا الشجاع وهاتان العينان

المتوقدتان (فى حب)

فوق عنقك الأبيض الذى له لون القمر .

(فى الخارج يبدأ هطول المطر وتهب الريح .

تشير ماريانا إلى بدرود بأن يصمت) .

المشهد السادس

كلابيل : (تدخل) سيدتى .. يبدو لى أنهم يطرقون الباب .
(بدرو وماريانا يتخذان هيئة لا اختلاف فيها .
تتحدث إلى بدون بدرو) .

بدرو : ليحفظك الله !

ماريانا : أتدريين من القادم ؟

كلابيل : أجل يا سيدتى ؛ أعرف .

ماريانا : الإشارة ؟

كلابيل : لا أنساها .

ماريانا : قبل أن تفتحي انظري من العين السحرية الكبيرة .

كلابيل : سأفعل يا سيدتى .

ماريانا : لا تشعلي أى ضوء ؛

لكن احتفظي فى صحن الدار

بشمعة لحالة الضرورة

وسدى نافذة الحديقة .

كلابيل : (ذاهبة) فى الحال .

ماريانا : كم عدد القادمين ؟

بسدرو : قليل ، لكنهم الأهم .

ماريانا : أنباء ؟

بسدرو : أجل

بعد لحظات . سنقرر

إذا كنا فى نهاية الأمر سنتمرد .

ماريانا : الصمت !

(تومىء للون بدرو بأن يصمت ، ويصيحان السمع .

فى الخارج ، يسمع أزيز المطر والريح)

ها قد حضروا !

بسدرو : (ينظر إلى الساعة)

فى موعدهم ،

كوطنيين مخلصين ،

هم رجال من أولى العزم !

ماريانا : أمدنا الله جميعاً بعونه !

: سيعيننا !

بسدرو : عساه يفعل لو نظر إلى هذا العالم !

ماريانا (تعبر خشبة المسرح حتى الباب وترفع الستارة

الخلفية الكبيرة)

تفضلوا أيها السادة !

المشهد السابع

(يدخل ثلاثة من السادة بعباءات رمادية فضفاضة ؛

أحدهم ملتحي العارضين ، ماريانا ودون بيدرو

يستقبلانهم بترحاب . يصافح السادة ماريانا ودون

بيدرو .)

ماريانا : (تمد يدها للمتآمر (١))

آه ، ما أشد برودة يدك !

متآمر (١) : (صريحا) الجو شديد البرودة !

ونسيت قفازي ؛ لكن هنا أفضل .

ماريانا : إنها لتمطر حقاً !

متآمر (٣) : (في حزم) محال السير في السقاطين .

(يخلعون عباءاتهم وينفضون عنها المطر)

متآمر (٢) : (في حزن) يسقط المطر فوق نور غرناطة

كصفاف زجاجى

متآهر (٣) : ويقل نهر دارو مترعاً بماء عكر

ماريانا : هل رأوكم ؟

متآهر (٢) : كلا ! أتينا فرادى

حتى مدخل هذا الشارع المعتم

متآهر (١) : أهناك أنباء بشأن اتخاذ قرارنا ؟

بـدرو : بسترده الليلة ، بإذن الله .

ماريانا : تحدثوا خفيضاً .

متآهر (١) : (يتسم) له يا نونيا ماريانا ؟

الناس كلهم نيام فى هذه اللحظة .

بـدرو : أعتقد أننا فى مأمن .

متآهر (٣) : لا تكن متيقناً ؛

فبدروسا ما أنفك يتجسس على ،

ورغم أنى أضلله بفطنتى

لم يزل يترصد لى وربما يعلم شيئاً .

(يجلس بعضهم وبعض آخر لم يزل واقفاً ؛ يؤفون

لوحة جميلة) .

ماريانا : أمس ، كان هنا . (يأتي السادة بإيعة دةشة)

بما أنه صديق لي ...

لم أرد - إذ لم يكن ينبغي لي - أن أرفضه .

امتدح مدينتنا ؛

لكنه ، فيما كان يتحدث إلى على نحو شديد الرقة ،

راح يرمقني بناظريه ... لا أدري ... كأنما يعلم !

(مشددة)

على نحو نافذ .

ينازل عيني نزالاً مكتوماً ،

لبث هنا طيلة المساء ،

وبدروسا قادر ... على أي شيء !

بسدرو : محال أن يتخيل ...

ماريانا : لا أشعر بارتياح كبير ، وأقول ذلك لكم

لنكون بالغى الحذر .

في الليل ، حين أسد النوافذ ،

يبو لي أنه يدفع الزجاج .

بسدرو : (ينظر إلى الساعة) الحادية عشرة وعشر دقائق .

والرسول لابد أنه على مقربة من هذا الشارع .

متأمر (٣) : (ينظر إلى الساعة) لن يتأخر كثيراً .

متأمر (١) : ليكن بمشيئة الله !

فكل لحظة تلوح لى دهرأ !

(تدخل كالايبلا تحمل صينية عليها أقذاح عالية من

الزجاج المصقول وقنينة مطووعة بالنبيذ الأحمر . تتركها

فوق منضدة صغيرة ، ماريانا تتحدث إليها) .

بيدرو : سيكون الأصدقاء على علم !

متأمر (١) : على علم هم . لا ينقصنا أحد .

كل شيء رهن ما سيخبروننا به هذه الليلة .

بيدرو : الوضع خطر ؛

لكنه ممتاز ، لو أننا أقدنا منه . (تخرج كالايبلا ،

وماريانا تسدل الستارة)

تجب دراسة حتى أقل التفاصيل ،

لأن الشعب يستجيب بلا ريب .

فهواء الأندلس كله مفعم بالحرية .

وهذه الكلمات تعطر أفئدة منها ،

من الأبراج الصفراء العريقة
إلى جنوع حقول الزيتون .
وساحل مالقة محتشد
بجموع قررت التمرد :
صيادي الـ « بالو » ،
بحارة وسادة نبلاء .
تتبعنا قرنى مثل « نيرخا » ، « بيليث » ،
فى لهفة تنتظر الأنباء .
رجال الجروف وعرض البحر ،
وهم لذلك أحرار بلا منازع .
الجزيرة الخضراء تتحين اللحظة ،
وفى غرناطة ، يغامر سادة من أصل عريق مثلكم
بحيواتهم على نحو مثير .
أه ، لقد عيل صبرى !
متأمر (٣) : كشأن جميع الليبراليين .
ساريلانا : (فى حياء) لكن ، أهنأك من يتبعكم ؟
بـدرو : (مقتنعاً) الجميع .

ماريانا : على الرغم من هذا الخوف ؟

بيدرو : (جافاً) أجل .

ماريانا : لا أحد يذهب إلى « الأميذا دل سالون »

ليتنزه في هدوء .

ومقهى « النجمة » مقفر .

بيدرو : (في حماس) ماريانا ، الراية التي طرزتها

سيطيحها الملك فرناندو ،

وإن شق ذلك على كالوماردي * !

متأهر (٣) : وحين تنفذ حيله

سيستسلم للحشود الليبرالية ،

فهو وإن تصنع الضعف والعزلة

لا ريب أنه الأمر الناهي .

ألم يتأخر كثيراً ؟

بيدرو : (في قلق) لا أدري .

متأهر (٣) : وإن كانوا اعتقلوه ؟

* فرانثيسكو تاديو كالوماردي (١٧٧٣ - ١٨٤٢) : وزير العدل بين عامي ١٨٢٤ و ١٨٣٤ . بث
الرعب في صفوف الليبراليين بإجراءات القمع الرهيبة التي اتخذها ضدهم .

متأمر (١) : ليس هذا محتملاً .

فالظلام والمطر يحميانه ،

وهو دائم الترقب .

ساريانا : يأتى الآن .

بسدرو : وسنعلم شيئاً فى النهاية (ينهضون ويتجهون صوب

الباب)

متأمر (٢) : مزحياً به لو أنه يحمل أنباء طيبة .

ساريانا : (فى انفعال ، إلى بدرو) افعل ذلك من أجلى . كن

رصيناً ،

فإننى أكاد أختنق .

المشهد الثامن

(يظهر بالباب متأمر (٤) . وهو رجل قوى البنية :

فلاح غنى ، يرتدى قبعة مدنية ، حافتها من المخمل

ومزينة بشراية من الحرير وسترة مطرزة ، عليها

تطريزات من الجوخ بكافة الألوان بالمرققين والكمين

والياقة . السراويل ، ذات ثنايا ، مشدودة بأزرار من

القماش المنقوش ، ويلبس طماقاً جلياً مفتوحاً من
أحد جانبيه وترى من تحته ركبتاه . له سمت حزين
ورجولى عذب . كل الشخصوص وقوف على مقربة من
باب المدخل . لا تخفى ماريانا قلقها وتنظر تارة إلى
نون بدرو وأخرى إلى القادم ، على نحو متألم
ومتسائل (

متأمر (٤) : أيها السادة ! نونيا ماريانا ! (يصفح ماريانا)

بـدرو : (بصبر نافذ) أهناك أخبار ؟

متأمر (٤) : سيئة مثل الطقس !

بـدرو : ماذا جرى ؟

متأمر (١) : (فى غضب) كدت أتنبأ بذلك .

ماريانا : (إلى بدرو) أتحنن ؟

بـدرو : وأهل قادش ؟

متأمر (٤) : كل شيء سدى .

علينا أن نأخذ حذرنا

فالحكومة ، فى كل مكان ، تترصدنا .

علينا أن نؤجل التمرد ،

وإلا فالكفاح والموت .

بـدرو : (فى يأس) لا أدري فيم أفكر ؛

لدى جرح مفتوح ينز فى جنبى ،

وليس فى وسعى أن أنتظر أيها السادة .

متآهر (٣) : (فى شدة) بون بدرو ، إن تنتظر ننتصر!

متآهر (٤) : لا أحد يبغى موتاً بلا نفع .

بـدرو : (فى شدة كذلك) يفوق الانتظار شجاعتى .

ماريانا : (فى رعب) خفضوا من أصواتكم ! (تزعج الحجرة)

متآهر (٤) : إسبانيا جميعها صامئة ، لكنها تحيا !

صونوا الراية جيداً .

ماريانا : لقد أرسلتها

إلى منزل صديقة مقربة لى ،

هناك فى البيازين ، وإنى لأرتعد،

ربما كانت فى مأمن هنا .

بـدرو : وفى مالقة ؟

متآهر (٤) : فى مالقة الأمر رهيب .

وصمة عار فى جبين جونتالت مورينو* ...

فما جرى لا يحكى .

(حالة من الترقب الشديد ؛ وماريانا الجالسة على

الأريكة إلى جانب نون بدرو ، بعد كل ذلك الأداء

الدرامى الذى أنته ، تستمع فى لهفة إلى ما يحكىه

متأمر (٤) .

توريخوس* ، الجنرال ،

النيل ، الأغر الجبين ،

مرأة أهل الأندلس ،

الفارس بين الدوقات ،

قلب من الفضة الخالصة ،

قتل على ضفاف مالقة الثائرة ،

أسبروه بالمخاتلة

* بيثنتى جونتالت مورينو (١٧٧٨ - ١٨٣٩) : قائد عسكري موالٍ لحكم فرناندو السابع المطلق وحاكم مالقة العسكرية : خان صديقه توريخوس الذى كان تحالف معه فتويعز إليه بأن يقوم بحملة إبرار بالقرب من مالقه هو رجاله وعددهم ٥٢ من رجال الجيش ، ثم اعتقلهم ونفذ فيهم حكم الإعدام رمياً بالرصاص فى ١١ ديسمبر ١٨٢١ . ومنذ ذلك الحين ، يطلق عليه لقب « جلال مالقة » .

* خوسيه ماريا توريخوس (١٧٩١ - ١٨٣١) : قائد عسكري ليبرالى مناوئ لحكم فرناندو السادس وفرناندو السابع .

فصندقها ، لسوء طالعها ،
فاقترب ببوارجه راضياً
من الشاطيء .
ويل للقلب النبيل
إن هو بالأشرار وثق !
فما إن وطأت قدمه الرمل
اعتقله الملكيون .
قطعت يد الفيكونت لا بارتة ،
قائد المليشيات ،
قبل أن يقدم على تلك النذالة ،
حين جرد توريوخوس
من حسامه البهى الذى كان يتقلده ،
بمقبضه الزجاجى المزين بشريطين .
فى بهيم الليل قتلوه ،
وكل من معه .
الفارس بين الدوقات ،
قلب من الفضة الخالصة.

ترتفع غيوم كثيفة
فوق جبل « ميخاس » .
الرياح تحرك البحر
وانسحبت السفين
بمجاديفها الحثيثة
وأشرعتها المنشورة .
وسط صخب الموج
تردد نوى الطلقات
فخر صريعاً على الرمل
ينزف من ثلاثة جراح ،
الفارس الشجاع
وكل من معه .
والموت ، مع أنه الموت ،
لم يسلبه ابتسامته .
يبكيه على السفين
جميع البحارة ،
وأبهى النساء ،

متشحات بالسواذ والحزن ،

بيكينه من كذلك

أعلى حقل الليمون .

بـبـدرو : (ينهض بعد سماع القصيدة)

كل صعوبة تزيد من شجاعتى .

أيها السادة ، لنواصل عملنا .

فموت توريوخوس يلهبنى

كى أواصل الكفاح .

متآمر (١) : هذا ما أفكر فيه !

متآمر (٢) : لكن علينا أن نهذا ؛

فى انتظار لحظة أخرى ..

متآمر (٣) : (منفعلاً) لحظة بعيدة !

بـبـدرو : لكن قواى لن تسنفد .

ماريانا : (تسر إلى بدرو) بدرو، مادمت حية ...

متآمر (١) : أنرحل ؟

متآمر (٣) : ليس هنالك ما نفعله ؛ الخق معك ؛

متآمر (٤) : هذا ما كان على أن أرويه لكم ،

لا شيء غيره .

متأمر (١) : عليكم بالتفاؤل .

ماريانا : أفضلون كئساً ؟

متأمر (٢) : نقبلها ،

نحن في حاجة إليها .

متأمر (١) : متفقون ! (ينهضون ويتناولون كؤوسهم)

ماريانا : (تملأ الأقداح) ما أشد المطر !

(فى الخارج يسمع وشيش المطر)

متأمر (٣) : بون بدرو حزين !

متأمر (٢) : شائننا جميعاً !

بـدرو : حقاً !

ولدينا مبرر للحزن

ماريانا : (ترفع كأسها)

يقول الناس فى المراكب الشراعية والبوراج ،

هناك ، فى البحر المتوسط ،

« إذا نام القمر نهض البحار » .

ونحن ، مثلهم ، علينا أن نكون يقظين دائماً !

(كلثما تحلم)

« إذا نام القمر نهض البحار » .

بـسـدرو : (وفي يده الكأس) لتكون نورنا مراكب

(يشربون ، صمت ، في الخارج ، تسمع طرقات

بعيدة ، يلبث الجميع والقداحهم في أيديهم ، في

سكون عظيم) .

مساريانا : إنها الريح ، تصد نافذة . (طريقة أخرى)

بـسـدرو : أستمعين يا مساريانا ؟

متأهر (٤) : من عساه يكون ؟

مساريانا : (نهياً للقلق) يا إلهي المقدس !

بـسـدرو : (يداعبها) لا تخشى شيئاً . ستترين ألا شيء هناك .

(يضع الجميع القداحهم وهم في بالغ القلق)

كلابيل : (تكخل ، تكاد تخفتق) آه ، سيدتي ! رجلان ملثمان

ويدروسا معهما !

مساريانا : (تصرخ ، في حدة الاضطراب)

يدرو ، اذهب !

وأنتم جميعاً ، بحق العنراء المقدسة ، في التو !

بسمدرو : (متحيراً) هيا !

(كلابيلا ترفع الأقداح وتطفئ الشمعدانات)

متأمر : لا يجدر بنا أن نهجرها .

ماريانا : (إلى بسمدرو) أسرع !

بسمدرو : من أين ؟

ماريانا : (فى جنون) آه ، من أين ؟

كلابيلا : إنهم بالباب !

ماريانا : (وقد واثقها فكرة) من تلك النافذة التى بالمر

بوسعك أن تقفز فى يسر !

فذلك القرميد قريب من الأرض .

متأمر (٢) : لا ينبغي أن نتركها وحدها !

بسمدرو : (محتدأ) علينا أن نفعل !

إذ كيف نبرر حضورنا ؟

ماريانا : أجل ، أجل ، اذهب فى الحال ، انج بنفسك !

بسمدرو : (فى تلجج) وداعاً ماريانا !

ماريانا : حفظكم الله أيها الأصدقاء !

(يخرجون فى الحال من الباب الأيمن . كلابيلا تطل

من خصاص الشرفة المظلة على الشارع) .

هاريانا : (بالباب) بدرو .. ، وأنتم جميعاً ، خنوا حذرکم ! .

(تفلق الباب الصغير الذى إلى اليسار والذى خرج

منه المتأمرون ، وتسدل الستارة فيما بعد ، تتخذ

سمتاً درامياً)

افتحى يا كلابيلا !

أنا امرأة شدت إلى ذيل جواد . (تخرج كلابيلا . ما

ريانا تهرع إلى البيانو)

إلهى ! تذكر الآمك

وجراح يديك !

(تجلس وتشروع فى عزف أغنية « المهرب » (١٨٠٨)

للمؤلف الموسيقى مانويل جارثيا *)

هاريانا : (تغنى)

أنا الذى حرقتى مهرب

وشيمتى العناد

* مانويل جارثيا (١٧٧٥ - ١٨٨٢) : مؤلف موسيقى أشبيللى شهير توفى فى باريس ، وهو والد

المغنية الشهيرة ماريا فيليثياس (مالبيران) .

أتحدى الجميع
لأنى لا أخشى أحداً ،
أى ، أى !
أى أيها الفتيان ! أى ، أيتها الصبايا !
من يشرى منى خيطاً أسود
فجوادى متعب
ويقتلنى النعاس !
أى !

أى ! ها قد جاءت الدورية
وبداً إطلاق الرصاص .
أى ، أى ، يا جوادى ،
جوادى الأغر .
أى !

آه ، يا جوادى ، انطلق .
آه ، يا جوادى ، فأتا هالك .

أى !

(يجب أن تغنى بإحساس رائع ويانس وهى تسمع
وقع أقدام بدروسا على الدرج) .

المشهد التاسع

(تزاح سقائر الخلفية ، وتظهر كلابيلا منعمورة
ويدها شمعدان ثلاثى ويداهما الأخرى على صدرها .
يدخل بدروسا فى إثرها ، متشجعا بالسواد ويرتدى
عباءة . بدروسا رجل حاد ، شديد الشحوب ، بالغ
الهدوء . سيقول عباراته بسخرية جد مطلق ، وسيدقق
النظر فى كل جانب ، لكن بتهذيب . ثقل الظل .
ينبغى أن تتجنب أى تصوير كاريكاتورى له . حين
يدخل بدروسا ، تتوقف ماريانا عن العزف وتترك
البيانو . صمت) .

ماريانا : تفضل .

بدروسا : (يتقدم) سيدتى ، لا تقطعى من أجلى

الأغنية التى كنت فى هذه اللحظة

تقنينها . (صمت)

مساريانا : (تجرب ابتسامة) كانت الليلة حزينة

فرحت أغنى (واقفة)

بدروسسا : رأيت الضوء في الشرفة

وشئت زيارتك .

ألمس العذر لو أنى أعطلك .

مساريانا : أشكرك جزيلاً .

بدروسسا : ما أشد المطر !

(واقفة . في هذا المشهد ، ستكون ثمة وقفات غير

ملحوظة وفترات صمت مباغته تتصارع خلالها نفسا

الشخصيتين صراعاً يائساً . وهذا المشهد شديدة

الوصورة من حيث الأداء ، فلا ينبغي الانزلاق في

مبالغات تضر بالإحساس . وفي هذا المشهد ، يجب

أن يكون المهم ما يسكت عنه لا ما يقال . والمطر

الذى سيحاكى على نحو خفيض وبلا صوت مبالغ فيه

سيملأ أحياناً فترات الصمت) .

صاريانا : (بنبرة معينة) هل الوقت تأخر ؟
بدروسا : (يحجبها ببصره ، وينبرة ما كذلك)

أجل ، تأخر جداً

فساعة المحكمة منذ برهة

دقت الحادية عشرة .

صاريانا : (فى وداعة ، تشير إلى بدروسا بأن يجلس)
لم أسمعها .

بدروسا : (يجلس) لقد سمعتها من بعيد .

جبت من توى الشوارع الساكنة ،

غارقاً فى ماء المطر حتى عظامى ،

أقاوم تلك الرياح الرهيفة والباردة

التي تهب من قصر الحمراء .

صاريانا : (بنبرة ما ومتعائلة نفسها)

الهواء البارد

الذى يرشق إبراً فوق الرئتين ،

ناحية القلب .

بدروسا : (يرد إليها السخرية)

أجل ، هو نفسه .

أودى مهام منصبى الشاق .

فيما أنت ، ياماريننا الجميلة ،

فى منزلك ، فى مأمن من الرياح ،

تخيطين الدانتلا .. أو تطرزين ..

(كأنما يتذكر)

لا أدري من قال لى

إنك تحسنين التطريز ؟

ماريانا : (مذعورة ، لكن فى شىء من رباطة الجأش)

أفى ذلك أثم ؟

بدروسا : (يومئ بالنفى) مولانا الملك ، حفظه الله ،

(ينحنى)

تسلى بالتطريز فى فالنسى

مع عمه الأمير أنطونيو .

ما أجملها من هواية .

ماريانا : (من بين أسنانها) يا إلهى !

بدروسا : أباغتك زيارتى ؟

ماريانا : (تجرب ابتسامة) كلا !

بدروسا : (صارماً) ماريانا !

امراة فى مثل حسنك ،

ألا ينتابها خوف من حياة بهذه الوحدة ؟

ماريانا : خوف ، مطلقاً !

بدروسا : (بتيرة ما) من كثرة الليبراليين .

والفوضويين فى غرناطة

لا يحيا الناس فى بالغ الأمان . (حازماً)

من المؤكد أنك تعلمين ذلك !

ماريانا : (فى عزة) يا سيد بدروسا !

أنا امراة لا أبرح منزلى ولا شىء أكثر !

بدروسا : (يبتسم) وأنا قاضٍ . لذا أهتم بهذه الأمور .

ألتمس العذر يا ماريانا .

لكى لى ثلاثة أشهر أكاد أجن

لعجزى عن ضبط زعيم ...

(وقفة . ماريانا تحاول الإنصات وتعبث بغاتمها ، تكبح

جماح قلقها وسخطها .)

بدروسا : (كانه يتنكر ، فى برود) شخص يدعى لون بدرو دى
سوتومايور .

ماريانا : قد يكون خارج إسبانيا .

بدروسا : كلا ؛ وإنى لآمل أن يسقط قريباً فى قبضة يدى .
(حين تسمع ذلك ، تعترى ماريانا إغمامة عصبية خفيفة
كافية كي يسقط الخاتم من يدها ؛ أو - على الأحرى
- هى نفسها تلقى به كي تتجنب الحديث) .

ماريانا : (تنهض) خاتمى !

بدروسا : سقط ؟ (بنبرة معينة)

خذى حذرك .

ماريانا : (فى توتر) إنه خاتم زواجى ؛ لا تتحرك ،

فقد تطؤه . (تبحث عنه)

بدروسا : حسنٌ .

ماريانا : ييبو .

أن يداً خفية اقتلعتة .

بدروسا : اهدئى . (فى برود) انظرى .

(يشير إلى مكان الخاتم ، فى نفس الوقت الذى يتقدم

فيه كلاهما)

إنه هنا !

(تتحنى ماريانا لثلتقطه قبل بدروسا ؛ وبدروسا يقف
إلى جانبها وفي لحظة نهوض ماريانا يلتصق بها في
سرعة ويقبلها)

ماريانا : (تطلق صرخة وتبتعد) بدروسا !

(وقفة . ماريانا تجش بالبكاء ساخطة)

بدروسا : سيدتى ، ماريانا ، اهدئي !

ماريانا : (ثائرة فى يأس وتأخذ بتلاييب بدروسا)

فيم تفكر بشأتى ؟ أخبرنى !

بدروسا : (بلا تأثر) فى أشياء كثيرة !

ماريانا : حسنٌ ، بوسعى أن أقهرها . ماذا تريد ؟

اعلم أننى لا أخشى أحداً .

أنا طاهرة كالماء الذى يولد ،

وقد ألوث إذا مسستنى !

غير أنى أعرف كيف أذافع عن نفسى ، اخرج فى الحال !

بدروسا : (بحدة وفى نروة غضبه) صه !

(وقفة . ثم فى برود)

أريد أن أكون صديقاً لك .

أحرى بك أن تشكرينى لهذه الزيارة .

ماريانا : (متعمرة) أبوسعى السماح لك بأن تسبني ؟

وأن تتسلل ليلاً إلى منزلي

لكى ... ، أيها الوغد ! .. لا أدري كيف .. (تتمالك
نفسها)

أنت تبغى هلاكى !

بدروسا : (فى حراوة) على العكس !

جئت لأنقذك .

ماريانا : (فى حمية) لا أحتاج إليك ! (وقفة)

بدروسا : (فى قوة وتسلط ، يقترب منها بابتسامة لاذعة)

ماريانا ! والراية ؟

ماريانا : (فى حرج) أية راية ؟

بدروسا : التى طرزتها بهاتين اليدين البيضاوين (يمسك

بيديها)

ضد القانون والملك !

ماريانا : أى خسيس كذبك القول ؟

دروسا : (غير مكثرت) مطرزة على نحو بديع !

هناك ، فى البيازين ، وجدناها ،

وهى الآن فى قبضة يدي كحياتك .

لكن ، لا تراعى ، فأنا صديقك . (ماريانا تكاد تختنق)

ماريانا : (تكاد تسقط مغشياً عليها)

هذا كذب ، كذب .

بدروسا : (بصوت خفيض وفى تأجج)

أريدك لى ،

أتسمعين ؟ لى أو ميتة .

طالما ازدريتنى ، لكنى الآن

بوسعى أن أضغط عنقك بيدي ،

هذا العنق الذى هو من الفل الشفيف ،

وستحببنتى لأننى أهبك الحياة .

ماريانا : (رقيقة ومتوسلة وسط يأسها ، تعانق بدروسا)

كن رحيماً بى ! أه لو تعلم !

دعنى أفر . وسأحفظ ذكراك

فى حدقتى عيني .

بدروسا ، من أجل ولدى .. !

بدروسا : (يعانقها فى رغبة)

الراية

لم تطرزيها أنت ، يا ماريانا الجميلة ،

وأنت حرة لأننى أريد ذلك ..

(ماريانا ، حين ترى شفيتها قريبتين من شفتى

بدروسا ، ترفضه وتتصرف بتوحش) .

ماريانا : لن يحدث هذا أبداً ! دون ذلك دى !

قد أتاكم لكن بشرفى .

اخرج من هنا .

بدروسا : (يعنفها) ماريانا !

ماريانا : اخرج فى الحال !

بدروسا : (فى برود وتحفظ)

حسن جداً ! سأتابع هذا الأمر

وأنت نفسك تتسبين فى هلاكك .

ماريانا : فيم يهمنى ؟

طرزت الراية بيدى ؛

بهاتين اليدين ، انظر إليهما يا بدروسا !
أعرف بسادة كباراً

كانوا يحاولون رفعها فى غرناطة .
لكننى لن أبوح بأسمائهم !

بدروسا : بالقوة ستبوحين ! فالحديد شديد الإيلام
والمرأة هى دائماً المرأة !
متى شئت أبلغينى !

ماريانا : جبان !

لن أتكلم وإن رشقوا قلبى بالزجاج !
(فى سورة غضبها)
بدروسا ، هأنذا !

بدروسا : سترى !

ماريانا : كلايلا ، الشمعدان !

(تدخل كلايلا فى دعر ، تشبك يديها فوق صدرها)

بدروسا : لا داعى هنالك يا سيدتى .

ألقى القبض عليك باسم القانون .

ماريانا : باسم أى قانون ؟

- بدروسا :** (فى برود واحترام) طابت ليلتك ! (يخرج)
- كلابيل :** (فى درامية) آه ، سيدتى ؛ طفلتى ، قرنفلتى ،
حبيبة القلب !
- ماريانا :** (فى شدة الكرب والذعر) إيسابل ،
إنى ذاهبة . أعطينى الشال .
- كلابيل :** انجى بنفسك فى الحال !
(تطل من الشرفة . فى الخارج ، يسمع من جديد
صوت المطر المنهمر)
- ماريانا :** سأذهب إلى منزل دون لويس !
اعتنتى بالطفلين !
- كلابيل :** إنهم واقفون بالباب ! لا يمكنك !
- ماريانا :** بالطبع ! (تشير إلى الموضع الذى خرج منه
المتآمرون)
من هنا !
- كلابيل :** محال ! (حين تعبر ماريانا خشبة المسرح تظهر دونيا
أنجوستياس)
- أنجوستياس :** ماريانا إلى أين ؟ طفلك تبكى .

ينتاقبها خوف من الهواء والمطر .

ماريانسا : (غلقت) أنا حبيسة ! أنا حبيسة يا كلايلا !

أزجوستيناس : (تعانقها) ماريانيتا !

ماريانا : (تنهك على الأريكة)

الآن يبدأ موتى ! (تعانقها المراتان)

انظري إلى وابكى . الآن بدأ موتى !

مستار سريع

اللوحة الثالثة

(دير القديسة مريم المصرية ، فى غرناطة ، مظاهر
عربية ، أقواس ، أشجار سرو ، نافورات ، رياحين .
ثمة مقاعد وكراس جلدية قديمة .

عندما يرفع الستار تكون خشبة المسرح خالية ، يسمع
عزف الأرغن وأصوات الراهبات من بعيد . من خلفية
المسرح تقترب الراهبتان (١) و (٢) (وهما راهبتان
مبتدئتان تحت التثبيت) مهرولتين على أطراف
أصابعهما وتلفتان هنا وهناك حتى لا يراها أحد .
تقتربان فى حذر بالغ من باب إلى اليسار ، وتنظران
من ثقب الباب .

المشهد الأول

راهبة (١) : ماذا تفعل ؟

راهبة (٢) : (تنظر من الثقب) خفضي صوتك !
إنها تصلى .

راهبة (١) : دعيني ! (تنظر هي أيضاً)
ما أشد بياضها ، ما أشد بياضها !
يشرف رأسها

في ظلمة الحجرة .

راهبة (٢) : يشرق رأسها ؟
لا أفهم شيئاً .

إنها لا امرأة صالحة ،
ويريدون قتلها .

وأنت ، ماذا تقولين ؟

راهبة (١) : وددت

لو أرنو إلى قلبها

زمناً طويلاً وعن كتب .

راهبة (٢) : ما أشجعها من امرأة !

حين جاعوا أمس يقرأون عليها الحكم بالإعدام

لم تخف ابتسامتها .

راهبة (١) : فى الكنيسة

رأيتها فيما بعد تبكى

ولاح لى أن قلبها

بلغ حنجرتها .

ماذا فعلت ؟

راهبة (٣) : طرزت راية .

راهبة (١) : أفى التطريز أثم ؟

راهبة (٢) : يقولون إنها ماسونية .

راهبة (١) : وما معنى هذا ؟

راهبة (٢) : حسن لا أدرى !

راهبة (١) : لم سجنّت ؟

راهبة (٢) : لأنها لا تحب الملك .

راهبة (١) : وفيم يهتم ذلك ؟ أليس غريباً ؟

راهبة (٢) : ولا الملكة !

راهبة (١) : أنا كذلك لا أحبهما (تتظفر)

آه ، ماريانا بينيدا !

تتفتح الآن زهور

ستذهب معك إلى القبر .

(تظهر بياب الخلفية « الأم » كارمن دى بورخا)

كارمن : لكن ، أيتها الصبيتان ، إلام تنتظران ؟

راهبة (١) : (مذعورة) الأخت

كارمن : ألا تخجلان ؟

اذهبا في الحال إلى العمل .

من علمكما هذه العادة القبيحة ؟

سأراكما لاحقاً !

راهبة (١) : ائذنى لى !

راهبة (٢) : ائذنى لى !

(تذهبان . حين تتأكد « الأم » كارمن من أن الآخرين .

ذهبتا ، تقترب هى أيضا فى حذر وتنظر من ثقب

المفتاح) .

كارمن : هى برئية ! بلاريب !

تمتنع عن الكلام فى حزم !

له ؟ هذا ما لا أفهمه . (فى فزع)

إنها قادمة ! (تهويل مبتعدة)

المشهد الثانى

(تظهر ماريانا فى رداء أبيض رائع ، بالغة الشحوب) .

ماريانا : أختاه !

كارمن : (تلتفت) فيم ترغبين ؟

ماريانا : لا شيء !

كارمن : قولى ما شئت يا سيدتى !

ماريانا : كنت أفكر ..

كارمن : فيم ؟

ماريانا : لو أن بمستطاعى

البقاء ها فى بيت العبادة

يوماً .

كارمن : كم ستسعد لذلك !

ماريانا : لا أستطيع !

كارمن : له ؟

ماريانا : ا تبتسم) لأتني ميتة .

كارمن : (في فزع) دونيا ماريانا ، باسم الرب !

ماريانا : لكن العالم يسعى إلى ،

الحجر ، الماء ، الهواء .

أدرك أنني كنت عمياء !

كارمن : سيعفون عنك !

ماريانا : (هادئة) سنرى !

هذا الصمت يثقلني ، سحرياً .

يتعاضم

كسقف من زهور البنفسج ، (في حماس)

وفي أحيان أخرى ، ينفحني

شعراً طويلاً .

آه ، ما أجمله من حلم !

كارمن : (تمسك بيدها) ماريانا !

ماريانا : كيف ترينني ؟

كارمن : في غاية الصلاح .

ماريانا : أنا أئمة كبيرة ؛

لكننى أحبيت إلى حد

أن الله سيغفر لى ،

كما غفر للقديسة ماجدولين .

كارمن : خارج العالم وداخله

يغفر الذنوب .

مايانا : أه لو علمت !

أمور الدنيا

أصابتنى فى مقتل يا أختاه !

كارمن : الرب مثخن بجراح الحب

التي لا تتدمل أبداً .

مايانا : يولد من يموت متألماً ،

أدرك أننى كنت عمياء !

كارمن : (حزينة لرؤية الحالة التي عليها مايانا)

إلى الملتقى ! أتخضرين

هذا المساء الصلابة التساعية ؟

مايانا : كالمعتاد . إلى اللقاء يا أختاه ! (كارمن تذهب) .

المشهد الثالث

(ماريانا تهزول نحو خلفية خشبة المسرح ، متخذة
شتمى صنوف الحذر ، وهناك يظهر أليجريتو ، بستاني
الدير ، يضحك دائماً ، بابتسامة عذبة وواحدة . يرتدى
زى صياد من تلك الحقبة) .

ماريانا : أليجريتو ! ماذا ؟

أليجريتو : صبراً ؛

حتى تسمعى الخبر !

ماريانا : تكلم فى الحال ، قبل أن يرونا !

أذهبت إلى منزل لونا لويس ؟

أليجريتو : وقالوا لى إنهم

من المحال أن يحاولوا إنقاذك .

بل إنهم لا يقدمون على ذلك ،

وإلا سيقتلون جميعاً ؛

غير أنهم سيبدلون ما فى وسعهم .

ماريانا : (بشجاعة) سيفعلون أى شىء ! أنا متيقنة

إنهم من النبلاء ،

وأنا نبيلة يا إيجريتهو !

ألا ترانى هادئة ؟

أليجريتو : هنالك خوف يثير الخوف .

الشوارع مقفرة .

الرياح تذهب وتجيء ،

لكن الناس يوصدون عليهم أبوابهم .

لم أجد سوى طفلة

تبكى على باب « القيصرية » * القديمة .

ماريانا : أتحسبهم يتركون

أقلهم ذنباً تموت ؟

أليجريتو : أنا لا أدرى فيم يفكرون .

ماريانا : والأمر الآخر ؟

أليجريتو : (محرجاً) سيدتى ! ...

ماريانا : أكمل حديثك

أليجريتو : لا أود (ماريانا تومىء بنفاد صبر)

* سوق الصناعات اليدوية فى المدينة القديمة ، وهذا الاسم منتشر فى عدة مدن فى الجنوب 'لاست' فى الشمال والأفريقى . ويرى بعض المؤرخين أنه ستنق عبثرة من « قبصر » ويعنى ، يست القدر . لأن الإمبراطور جوستينيان منح التجار لعرب امتياز صناعة وتجارة التحرير

السيد نون بدرو دى بسوتومايور

يرحل عن إسبانيا ، كما قيل لى .

يقولون إنه راحل إلى انجلترا .

نون لويس من ذلك على يقين .

ماريانا : (تبتسم غير مصدقة وفي درامية ، لأنها فى أعماقها

تعلم أنها الحقيقة)

من قال لك ذلك

يريد زيادة عذابى .

ألجريتو ، لا تصدقه !

أست لا تصدقه بالفعل ؟ (مكروبة)

ألجريتو : (فى حرج) سيدتى ، كما تشائين .

ماريانا : سيأتى نون بدرو على جواد كالمجنون

حين بعلم أننى سجننت

لأننى طرزت له رايته .

وإن قتلونى

سيأتى ليموت إلى جوارى ،

قال ذلك لى ليلة

وهو يقبل رأسى .
سيأتى مثل القديس جرجس
بالماس والماء الأسود
وزهرة عباقة الحمراء المبهرة على جناح الريح .
ولأنه نبيل ومتواضع ،
ولكى لا يراه أحد ،
سيأتى فجراً ،
فى الفجر البارد .
حين يسطع فوق الهواء المعتم
حقل الليمون بالكاد
ويرسم الفجر فوق الموج
زوارق من ظل وحرير .
ماذا تعرف أنت ؟ ما أبسعدنى !
لست خائفة ، أفهمت ؟

أليجريتو : سيدتى !

ماريانا : من قال ذلك لك ؟

أليجريتو : دون لويس .

مارينا : أيدري بالحكم ؟
أيجريتو : يقول إنه لا يصدقه .
ماريانا : (فى كرب) حسنٌ ، هو لا يقبل الشك .
أيجريتو : يؤلنى إبلاغك .
مثل هذه الأخبار السيئة .
ماريانا : ستعود !
ماريانا : كما تشائين .
أيجريتو : عد وقل لهم
إنى فى غاية الرضا
ليقبنى من أنهم سيجيئون جميعاً
(- وما أكثرهم !) - عند الضرورة .
جزاك الله خيراً !
أيجريتو : إلى الملتقى ! (يخرج)

المشهد الرابع

سارينا : وألبث وحيدة

فيما ترقب شجرة السنط المزهرة

فى البستان موتى (بصوت مرتفع ، تتحدث إلى

البستان)

بيد أن حياتى هنا

ويهتاج دمي ويرتعد

كشجرة من المرجان ،

وسط موج رهيف .

وحتى وإن وضع جوادك

أربعة أقمار فى الحجارة

وناراً فى نسيم الربيع

الأخضر الرقيق ،

حث الخطى ! تعال وابحث عني .

فإنى أحس بأنامل

من عظم وطحالب جد قريبة منى ،

تداعب رأسى . (تتوجه إلى البستان كمن يحدث شخصاً)

لا يمكنك الدخول ! كلا !

آه ، بدرو ! من أجلك لن يدخل ؛

لكن قيثارة بيضاء ،

جالسة إلى النافورة ،

تعزف .

(تجلس على مقعد وتستند برأسها إلى يديها ، فى

الحديقة يسمع صوت قيثارة) .

صوت : على حافة الماء ،

دون أن يراه أحد ،

مات رجائى .

(فى الخلفية تظهر راهبتان ، وفى إثرهما بدروسا .

ماريانا لا تراهم) .

ماريانا : هذه الأغنية تقول

ما لا أود أن أعلمه .

قلب بلا رجاء ،

فلتبتلعه الأرض !

كارمن : إنها هنا يا سيد بدروسا .

ماريانا : (يتتابها الذعر ، تنهض ، كائنها عائدة من حلم) من ؟

بدروسا : سيدتى !

(ماريانا تفاجأ به وتند عنها صرخة . تبدأ الراهبتان
فى السير) .

ماريانا : (إلى الراهبتين) أتركنا ؟

كارمن : لدينا ما نفعله

(تذهبان ، فى هذه اللحظات يهيمن على المشهد توتر
شديد . بدروسا ، بارداً ومهذباً ، ينظر إلى ماريانا
بحدة ؛ وهى ، فى حزن وشجاعة أيضاً ، تواجه
نظراته) .

المشهد الخامس

(بدروسا يتشبع بالسواد ويرتدى عباءة . يجب إبراز
هيئته الباردة)

ماريانا : لقد تنبأت بذلك : بدروسا !

بدروسا : هو نفسه ،

الذى ينتظر ، كالمعتاد ، أخبارك .

ها قد آن الأوان ، أليس كذلك ؟

ماريانا : يؤون دوماً أوان الصمت

والعيش البهيج .

(تجلس على مقعد . فى هذه اللحظة ، وطوال

الفصل ، تنتاب ماريانا حالة من الهذيان الرهيف

الذى ينفجر فى النهاية)

بدروسا : أتعلمين بالحكم ؟

ماريانا : أعلمه .

بدروسا : حسنٌ ؟

ماريانا : (فى سعادة) ولكننى أعتقد أنه كذب ،

فعنقى قصير جداً لتنفيذ حكم الإعدام * .

كما ترى . لن يستطيعوا .

فضلاً عن أنه جميل وأبيض

ولن يرغب أحد فى لمسه .

بدروسا : (يكمل حديث) ماريانا !

ماريانا : (فى حدة) أتنسى أننى لكى أموت

يجب أن تموت غرناطة كلها ،

* يضمن لوركا هنانفس العبارة التى قالتها ماريانا بينيدا ، الشخصية التاريخية وحين أبلغت بحكم الإعدام .

وأن سادة كبراء
سيهبون لإنقاذي ،
لأننى من النبلاء ،
لأننى ابنة قبطان سفينة ،
من فرسان رهبانية « قلعة رباح » ؟
دعنى وشأنى .

بدروسا : لن يجرؤ أحد فى غرناطة على النظر
حين تمرين فى موكب الإعدام .

فأهل الأندلس يتكلمون ؛ لكن فيما عدا ذلك ..

ماريانا : سيتركوننى وحدى ؛ وفيم يهم ؟
واحد فقط سيأتى ليموت معى ، وهذا يكفى .
لكنه سيأتى لينقذ حياتى !

(تبسم وتتففس بشدة وتضع يديها على صدرها)

بدروسا : (فى احتياج) أنا لا أريد أن تموتى أنت ، كلا !
ولن تموتى ، لأنك ستكشفين عن المؤامرة .
أنا على يقين .

ماريانا : (فى حدة) لن أبوح بشيء ، كما كنت تريد ،

رغم أن لى قلباً
لم يعد يسع مزيداً من الجراح .
ساكون قوية ، صماء إزاء تملقك .
من قبل ، كانت حدقتاك تخيفاننى ،
والآن ، هأنذا أنظر إليك وجهاً لوجه ، (تقترب)
وأتحمل ناظريك اللذين يرقبان
الموضع الذى أخبىء فيه هذا السر ،
الذى لن أفشيئه لقاء أى شىء فى العالم .
أنا شجاعة يا بدروسا ، أنا شجاعة !

بدروسا : عظيم ! (وقفة)

أنت تعلمين . بأمضائى
بوسعى أن أمحو نور عينيك .
وبريشة وقليل من المداد
أجعلك ترقدين فى نوم طويل .

ماريانسا : (فى سمو) عساه يكون سريعاً من أجل سعادتى !

بدروسا : (بارداً) هذا المساء سيحضرون .

ماريانسا : (مذعورة ، تنتبه) كيف ؟

دروسا : هذا المساء ؛

صدر الأمر بأن تتأهبى لتنفيذ الحكم .

ماريانا : (تهتاج وتحتج على نحو عنيف)

ذاك محال ! جبناء!

من فى إسبانيا يأمر بمثل هذه الحقارات ؟

أى جريمة ارتكبتها ؟ لم يقتلوننى ؟

أين عقل العدالة ؟

فى راية الحرية

طرزت أعظم حب فى حياتى .

أو ينبغى أن ألبث هنا سجينة ؟

من لى بجناحين شفيفين

كى أحلق بحثاً عنك !

(بدروسا يشاهد برضى نوبة يأس ماريانا المبالغته

ويقتررب منها . يتخذ الضوء تدريجياً لون الشقق) .

بدروسا : (قريباً جداً من ماريانا)

تكلمى فى الحال فيعفو عنك الملك .

ماريانا ، من هم المتآمرون ؟

أنا أعلم أنك صديقة الجميع .
كل ثانية يحدق بك الخطر ،
قبل أن يتلاشى النهار
بسياتون بالشارع ليأخذوك .
من هم ؟ وأسمائهم ، هيا ، أسرعى !
لا يمكنك أن تعبثى بالعدالة على هذا النحو ،
وإلا سيفوت الأوان .

ماريانا : (فى حزم) لن أتكلم !

بدروسا : (ممسكاً بيديها) من هم ؟

ماريانا : الآن لن أبوح بشيء حقاً . (بازديراء)

إليك عنى يا بدروسا ؛ اذهب .

أيتها الأم كارمن !

بدروسا : تطلبين الموت ! (تظهر الأم كارمن فى بالغ الفزع

وتعبر راهبتان الخلفية)

كارمن : ماذا هناك يا ماريانيتا ؟

ماريانا : لا شيء .

كارمن : سيدى ، ليس من العدل ..

بدروسنا : (بارداً ومتسلطاً ، يصوب نظرة صارمة إلى الراهبة

ويشرع في السير)

عمتما مساء . (إلى ماريانا)

سيسرني كثيراً أن ترسلى فى طلبى !

كارمن : إنها فى غاية الطيبة يا سيدى !

بدروسنا : (فى غطرسة) لم أسألك .

(يخرج وفى إثره الراهبة كارمن)

المشهد السادس

ماريانا : (جالسة على المقعد ، وينبرة أندلسية درامية ورقيقة)

أتذكر تلك الأغنية التى كنت أغنيها

وسط أشجار الزيتون فى غرناطة

« آى ، ما أبهى بارجتك ،

أيها القرصان الملكى !

أين بسالتك ؟

فالسفينة ذات الصاريين

تصعد ذنوك « (حائلة)

بين البحر والنجوم
بأية سعادة سائتزه
متكئة على شرفة ممتدة من النسيم !
(مكروبة)

بدر ، خذ حصانك
أو تعال ممتطياً النهار .
لكن أسرع !
فهاهم قادمين لينزعوا حياتي .
ارشق مهما زيك العاتين . (تبكى)
« آى ، ما أبهى بارجتك ،
أيها القرصان الملكى !
أين بسالتك ؟

فالسفينة الشهيرة ذات الصاريين
تصوب نحوك » (تظهر راهبتان)

راهبة (١) : تجلدى ، فالله فى عونك .
كارمن : ماريانيتا ، بنيتى ، استريحى . (ترافقان ماريانا)

المشهد السابع

(يسمع رنين ناقوس الراهبات الصغير . فى الخلفية يظهر عدد منهن . يجتزن خشبة المسرح ويرسمن علامة الصليب عند مرورهن بتمثال لعنراء الآلام بالحائط ، قلبها مرشوق بالمدى وتبكي ، التمثال محوط بقوس من الورود الورقية الصفراء والفضية ، من بين الراهبات ، الراهبتان الصغيرتان | (قبل التثبيت) (١) و (٢) . يلف شجر السرو ضوء ذهبى) .

الراهبة (١) : أى صراخ هذا ! أسمعته ؟

الراهبة (٢) : من البستان ؛ كان يسمع

كأنه أت من بعيد .

إينس ، أنا خائفة !

الراهبة (١) : أين ماريانيتا ،

وردة غرناطة وياسمينتها ؟

الراهبة (٢) : إنها تنتظر عريسها .

الراهبة (١) : لكن عريسها تأخر .

الراهبة (٢) : لو أنك رأيتها كيف تنتظر

من شرفة إلى أخرى !

تقول : « لولا الجبال

لرأيته من بعيد ».

الراهبة (٢) : إنها تنتظره بيقين .

الراهبة (١) : وهو لتعاسها لن يحضر !

الراهبة (٢) : ماريانيتا ستموت !

ففى الدار ضوء مغاير !

الراهبة (١) : وما أكثر الطير ! رأيت ؟

لم تعد تسعه أغصان البستان

ولا الأفاريز ؛

لم أر عدداً كهذا من قبل ،

حين تسمع أجراس برج الحراسة *

وعند الفجر ،

يشدو ويشو ويشدو

الراهبة (١) : .. وعند الفجر ،

تصحو نسائم وسحب

من الأفنان الباردة

الراهبة (٢) : ... وعند الفجر ،

* برج قصر الحمراء الذى كان يحرس المدينة .

مقابل كل نجم يموت

يولد ناي صغير .

الراهبة (١) : وهى ... رأيته

وهى تعن لى مكفنة

حين تحتاز خورس الكنيسة المنخفض

بأرديتها تلك الشديدة البياض .

الراهبة (٢) : أي ظلم !

يقينى أن هذه المرأة خُدمت .

الراهبة (١) : لها عنق رائع

الراهبة (٢) : (ترفع يديها لا إرانيا إلى عنقها) أجل ، لكن ..

الراهبة (١) : حين كانت تبكى

خيل إلى أنه سينفرط

فى حجرها

(تقترب راهبتان أخريان)

الراهبة

الأولى : أنذهب لمراجعة صلاة البشارة ؟

الراهبة (١) : حسن !

الراهبة (٢) : لا رغبة لى .

الراهبة

الأولس : كم هى رائعة !

الراهبة (١) : (تومى للأخريات فيهرولن صوب خلفية خشبة

المسرح) وصعبة !

(تظهر ماريانا من الباب الأيسر، وحين يرينها يبتلعن

جميعاً فى مداراة)

ماريانا : (تبتسم) أتهربن منى ؟

الراهبة (١) : (ترتعد) نذهب إلى ..

ماريانا : (فى حرج) كنا ذاهبات .. كنت أقول ..

تأخرنا كثيراً

الراهبة (١) : (فى سماحة ساخرة) أنا شريرة إلى هذا الحد ؟

الراهبة (١) : (مهتاجة) كلا يا سيدتى ! من قال ذلك ؟

ماريانا : ماذا تعرفين أنت يا صغيرتى ؟

الراهبة (١) : (تومى إلى الأخرى) لا شىء !

ماريانا : لكننا جميعاً نحبك ! (فى توتر)

ألا تلاحظين ذلك ؟

الراهبة (١) : (فى مرارة) أشكرك !

(تجلس ماريانا على مقعد ، تضع يداً فوق الأخرى ،
منكسة رأسها على نحو بالغ الروعة كما فى حالة
انتقال القديسين)

الراهبة (١) : هيا بنا !

الراهبة (٢) : أه ، ماريانيتا ،

وردة غرناطة وياسمينتها .

التي تنتظر عريسها ،

لكن عريسها تأخر ! (تذهبان)

ماريانا : من كان يتخيل ! ..

لكن .. صبراً !

الراهبة

كسارهن : (تدخل) ماريانا !

أحد السادة ، معه تصريح

من القاضى ، جاء لزيارتك .

ماريانا : (تنهض مبتهجة) ليدخل ! أخيراً يا إلهى !

(تخرج الراهبة . ماريانا تتجه ناحية مرآة على

الحائط ، وفى هذيانها الرهيف تصلح «بوكليها»

شعرها وفتحة الصدر)

سريعاً .. كم كنت موقنة !

ينبغي أن أبدل ثوبى :

فهو يزيد من شحوبى .

المشهد الثامن

(تجلس على المقعد ، فى وضع الحب ، تلتفت إلى

الجهة التى سيدخلان منها . تظهر الراهبة كارمن ،

وماريانا نافذة الصبر ، تلتفت . فى صمت المشهد ،

يدخل فرناندو فتبعت ماريانا)

ماريانا : (فى يأس ، كأنها لا تود أن تصدق ما ترى) كلا !

فرناندو : (حزينا) ماريانا ! ألا تودين التحدث إلى ؟ أخبرينى !

ماريانا : بدرو ! أين بدرو ؟

دعوه يدخل ، بحق الإله !

إنه أسفل ، بالبواب !

إنه هناك ! فليصعد !

أنت جئت معه ،

أليس كذلك ؟ أنت طيب القلب جداً .

سيجى متعباً ، لكنه سيدخل فى التو .

فرناندو : جئت وحدى يا ماريانا . أى علم لى بدون بدرو ؟

ماريانا : على الجميع أن يعلم لكن لا أحد يفعل !

إذن ، متى يأتى لينقذ حياتى ؟

متى يأتى ليموت إذا كان الموت ينتظرنى ؟

أسيأتى ؟ أخبرنى يا فرناندو

فما زال هناك وقت !

فرناندو : (فى حدة ويأس حين يرى حالة ماريانا)

دون بدرو لن يأتى ،

لأنه لم يحبك قط يا ماريانا

لعله فى انجلترا ،

مع ليبراليين آخرين ،

هجرك أصدقاءك القدامى جميعهم .

قلبى الفتى وحده معك .

ماريانا ! تعلمى وانظرى كيف أحبك .

ماريانا : (مهتاجة) لم قلت لى ذلك ؟ كنت أعلمه جيداً ،

لكننى لم أشأ قط أن أخبر به رجائى .

والآن لم أعد أكثرث . فرجائي سمعه
ومات هو ينظر إلى عيني محبوبى بدرو .
طرزت الراية من أجله .
تآمرت لأعيش وأحب فكره هو
أكثر من ولدى نفسيهما ومن حبي لنفسي
« أتحب الحرية أشد من حبك لماريانا ؟
إذن ، ساكون أنا نفسى الحرية التى تعيدها ! »
فرناندو : أعلم أنك ستموتين ! بعد لحظات سيأتون ليقتادوك .
انجى بنفسك وأخبريهم بالأسماء !
من أجل طفليك ! من أجلى أنا الذى أقدم لك حياتى !
ماريانا : لا أريد لولدى أن يحتقرانى !
سيكون لولدى اسم ناصع كالبدر !
وسيحملان فى محياهما إشراقاً
لا تمحوه السنون أو الهواء !
فإن وشيت فسيذكر هذا الاسم بخوف
فى كل شوارع غرناطة .
فرناندو : (فى درامية) محال ! لن يحدث ! لا

يجب أن تحيى !

ماريانا ! من أجل حبي !

ماريانا : (تهذى) وما هو الحب يا فرناندو ؟

أنا لا أعرف ما هو الحب !

فرناندو : (مقتريا منها) لكن أحداً لم يحبك مثلى ياماريانا !

ماريانا : (فى تأثر) كان ينبغى أن أحبك أكثر من أى شخص

فى العالم ،

لو لم يكن القلب عدونا الأكبر !

أيها القلب ، لم تأمر وتتهى إن لم أرد ؟

فرناندو : أه ، إنهم يهجرونك جميعاً ! تكلمى وأحببنى وعيشى !

ماريانا : (تبعده عنها) أنا ميتة يا صديقى الصغير !

وكلماتك تبلغنى عبر النهر الكبير للعالم الذى أرحل

عنه .

أصبحت كالنجمة فوق الماء الغائر ،

آخر نسيم رهيف يختفى فى أشجار الحور .

(فى خلفية المسرح تمر راهبة ، تشبك ذراعيها

وتنظر فى قلق إلى المجموعة)

فرناندو : لا أدري ماذا أفعل ! أى كرب هذا ! إنهم آتون إليك !

لو أن بوسعى الموت لأفتدى حياتك !

ماريانو : الموت ! أى حلم طويل ولا ظلمة !

بدر ، أريد أن أموت

من أجل ما تحيا أنت من أجله ،

من أجل المثل الأعلى المجرد الذى أضاء عينيك

الحرية !! من أجل ألا تنطفئ نارك السامية

أقدم نفسى كاملة .

إلى الأمام ، أيتها الأفئدة !!

بدر ، أرأيت إلى أين حملنى حبك ؟

ميتة سيكبر حبك لى حتى إنك لن تقوى على الحياة !

(تدخل راهبتان ، تشبكان أيديهما بنفس التعبير

المكروب ولا تجرؤان على الاقتراب)

والآن لم أعد أحبك ،

يا ظل جنونى !

كارمن : (تدخل) ماريانا ! (إلى فرناندو)

أيها السيد !

اخرج فى الحال !

ماريانا : (فى غم) دعينى !

كارهن : (فى جنون) اذهب ! من أنت ؟

لم أعد أعرف أحداً !

سأرقد فى هدوء!

(تدخل راهبة أخرى مهرولة ، تكاد تختنق من

الخوف والتأثر . فى الخلفية مسرعة ويدها على

جبهتها)

فرناندو : (فى شدة الانفعال) الوداع يا ماريانا !

ماريانا : اذهب !

قد جاءوا فى طلبى (يخرج فرناندو ترافقه راهبتان)

كحبة رمل

أحس بالعالم بين يدي (تأتى راهبة أخرى)

الموت ! لكن ما هو الموت ؟ (إلى الراهبات)

وأنتن ! ماذا تفعلن ؟

كم أحس بكن بعيدات !

كارهن : : (التى تأتى باكية) ماريانا !

هاريانا : لم تبكين ؟

كارهن

الراهبة : إنهم أسفل يا طفلي !

الأولس : هاهم يصعدون الدرج !

المشهد الأخير

(تدخل الراهبات جميعهن من خلفية خشبة المسرح . ينعكس الحزن على وجوههن . تتقدمهن الراهبتان الصغيرتان (١) و (٢) . الأخت كارمن ، على مقربة من ماريانا . كل المشهد سيضاء تدريجياً وحتى نهايته بضوء مبهر وشديد الغرابة كشفق غرناطي . عبر الأقواس وشجر السرو يدخل ضوء وردي وأخضر يتشكل على نحورائع ، إلى أن يبدو كالأحجار الكريمة . من السقف يهبط ضوء برتقالي خفيف يشتد تدريجياً حتى نهاية المشهد .)

ماريانا : أيها القلب ، لاتهجرني ! صه !

بجناح إلى أين تذهب ؛ لك أن تستريح أنت أيضا .

جنون طويل من الأنجم ينتظرنا وراء الموت .

أيها القلب ، لا وقت لليأس !

كارمن : أنسى العالم يا ماريانيتا الجميلة !

ماريانا : كم أشعر به بعيداً !

كارمن : لقد جاعوا في طلبك !

ماريانا : كم أعى ما يبوح به هذا الضوء !
الحب ، الحب ، الحب ووحدة أزلية ! (يدخل القاضى
من الباب الأيسر)

الراهبة (١) : إنه القاضى !

الراهبة (٢) : سيقتادونها !

القاضى : سيدتى ، حين تشائين !

ثمة عربة بالباب .

ماريانا : شكراً جزيلاً . أيتها الأم كارمن ،
أنقذت مخلوقات عدة ستبكى موتى .
لا تنسوا ولدى

كارمن : لترعك العذراء !

ماريانا : لكم فؤادى ! إلى بياقة زهور !

فى ساعاتى الأخيرة أريد أن أتزين .
أريد أن أحس بلمسة خاتمة الصلبة .
وأضل فى زغب طرحتى المطرزة .

« تحب الحرية فوق أى شئ »

لكننى أنا الحرية نفسها . أهب دمي ،
الذى هو دمك ودم كل المخلوقات .
لن يشتري قلب أحد ! «

[تعاونها راهبة في ارتداء طرحتها . تتجه ماريانا نحو

الخلفية . تهتف]

أعى الآن مايقوله العندليب والشجرة .

الإنسان أسير ولاسبيل إلى الحرية .

أيتها الحرية العليا ! الحرية الحقة ،

أضيئي من أجلى نجومك البعيدة .

وداعاً ! كفكفن دموعك ! [إلى القاضي]

هيا ، فى الحال !

كارهن : وداعاً يابنتى !

ماريانا : احكين قصتى الحزينة لمن يمر من الأطفال .

كارهن : لأنك أحببت حباً كبيراً سيفتح الله لك بابه .

آه ، ماريانيتا البائسة ! ياوردة بساتين الورود !

الراهبة (أ) : [تجثو على ركبتيهما] لن ترى عيناك من الآن البرتقال

النورانى

الذى سيخلفه المساء على أسطح غرناطة .

[فى الخارج ، يبدأ قرع أجراس بعيدة]

الراهبة الأولى : [راكعة] ولن تدركى نسيم الربيع العذب

وهو يهب فى الفجر ليداعب زجاج شرفتك .

الراهبة (٢) : [تجثو على ركبتيها وتقبل حاشية ثوب ماريانا]

قرنفلة مايو ! يا قمر الأندلس !

فى الشرفات العليا سيكون عريسك فى انتظارك .

كارمن : ماريانا ، ماريانيتا ، يا صاحبة الاسم الجميل والبائس ،

بيكى الصبية أملك فى الطريق !

ماريانا : [وهى تخرج]

أنا الحرية لأن هذه هى إرادة الحب !

بدرو ! الحرية التى هجرتنى من أجلها .

أنا الحرية التى أدمأها البشر !

الحب ، الحب ، الحب ووحدة أزلية !

[قرع أجراس حى ومهيب يطفى على المشهد ،

وخورس بعيد من الصبايا يغنى الأغنية ، ماريانا تخرج

فى بطء مستندة إلى الراهبة كارمن . تركع الراهبات

الأخريات . يطفى ضوء رائع وهديانى خشبة المسرح .

فى الخلفية تغنى الصبايا .]

أوه ، ما أحزن ذلك اليوم فى غرناطة ،

يوم أبكى الحجر ،
لرؤية ماريانيتا تموت على المقصلة
لأنها لم تعترف !
ستار بطن

الإشراف اللغوى: حسام عبد العزيز
الإشراف الفنى: حسن كامل

ASI QUE PASEN CINCO AÚOS MARIANA PINEDA,

هاتان مسرحيتان للشاعر الكبير فيديريكو غرسيه لوركا، حاول فيهما أن ينهل من أكثر من نبع استاطيقى، وتتميز أعماله المسرحية بالتحديد في أكثر من اتجاه، وهى - رغم بساطة الخط الدرامى - غنية فى مكوناتها المسرحية، وتشتمل على عناصر سورالية، فهى ثمرة تمثل متعمق لمبادئ عالم لوركا الخصوصى، كما يكرس فى المسرح تقنية "المونولوج الداخلى".

من هنا تتناول مسرحية "حتى تمضى خمس سنوات" تيمة فشل الرجل فى الحب وما يترتب على ذلك من الحرمان العاطفى وعدم الإنجاب.

وتكتسب هذه المسرحية بعدا شاملا من حيث معالجتها للشخص الدرامى، فهؤلاء، قبل أن يكونوا كائنات حقيقية، فإنهم عصب حى، انفعال بلا وصف جسدى، كما أنهم متصلون بعالم الغريزة والعقل حيث كونهم واقعا متخيلا وغير فردى.

أما مسرحية "ماريانا بينيدا" فإنها تدور الشخصية التاريخية، التى عاشت فى الثلث القرن الماضى، والتى تحولت إلى سيرة شخص بها الجميع فى شوارع غرناطة، وأصبحت من ذاكرة لوركا منذ صغره:

إن نفسى أسيرة / اطر حى عنك أى خوف
العشق / وسأظل ما دمت قيد الحياة.